

رِسَالَةٌ فِي
رَدِّ مَذْهَبِ الْوَهَّابِيَّةِ

تَأَلَّفَ
الْعَلَّامَةُ السَّيِّدُ مُحَمَّدُ الْعِصْمَةُ

تَحْقِيقُ
السَّيِّدِ نِعْمَانَ النَّصْرِيِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

موجز عن حياة المؤلف: السيد محمد العصار

نسبه وولادته:

هو محمد بن محمود الحسيني اللواساني الطهراني المعروف بـ «العصار» ولد في سنة (١٢٦٤هـ / ١٨٤٨م) وتوفي سنة (١٣٥٦هـ / ١٩٣٧م) وكان حكيماً، متكلفاً، فقيهاً، أصولياً، شاعراً، ومن مفسري الشيعة.

عاش في طهران ومشهد، لقّب في أوائل عمره بالناظم ثم بـ «آشفته تهراني» أي الغاضب الطهراني وفي أواخر عمره لقّب بـ «العصار» وكانت عائلته في الأصل من مازندران.

أبوه هو الحاج السيد محمود اللواساني، عاش أولاً في مدينة لواسان ثم هاجر إلى طهران.

وقد أرّخ المؤلف نفسه ولاته في كتاب تاريخ العصار ومقدمة تفسير ناسخ التفاسير جاء فيه: «ولدتُ في سنة تربّع ناصر الدين شاه القاجاري على كرسي الحكم أو السنة التالية لها ويعني سنة (١٢٦٤هـ/١٨٤٨م) أو (١٢٦٥هـ/١٨٤٩م).

دراسته الحوزوية:

درس العصار مقدّمات العلوم في طهران، وفي الثالثة عشرة من عمره الشريف سافر إلى طالقان برفقة أستاذه، وبعد مدّة عاد إلى طهران، فدرس كتابي معالم الأصول وشرح اللمعة على يد الشيخ محمد حسن الچاله ميداني وملاً اسماعيل القره باغي. وبعد إتمام مرحلة السطوح في طهران هاجر إلى مدينة كربلاء المقدسة للتعلم على يدي علمائها وفقهائها آنذاك أمثال زين العابدين المازندراني (ت ١٣٠٩هـ/١٨٩٢م) والذي كان مرجعاً للتقليد في الهند ومازندران.

سفره إلى السعودية والبلدان العربيّة:

بعد ذلك سافر إلى مدينة الرسول على ساكنها الصلاة والسلام، حيث التقى هناك مع حاكمها آنذاك خالد باشا، وأنشد قصيدة في مدحه فأجازه بهدية، وبقي مدة في المدينة حيث ألف كتاب التحفة المدنيّة في العروض سنة (١٢٩٠هـ/١٨٧٣م).

وفي نفس تلك السنة سافر إلى مكة زادها الله شرفاً وقد حضر
هناك دروس السيّد أحمد دحلان ودرس الأدبيات عند الشيخ
محمد بسيوني وحصل على إجازة الرواية للصحاح الستة لأهل
العامة من المولى عبدالغني الهندي الحنفي وغير ذلك.

وسافر أيضاً إلى بيروت ودمشق ثم عاد إلى النجف، وبعدها
وفي سنة (١٢٩٦ هـ / ١٨٧٩ م) سافر إلى سامراء لحضور دروس
الميرزا الشيرازي، وبقي هناك إلى سنة (١٣٠١ هـ / ١٨٨٤ م) حيث
ترك سامراء متوجّهاً إلى طهران مسقط رأسه، فبقي فيها عدّة
سنوات.

ونقل عنه أنّه بعد اثنتي عشرة سنة من العزلة والابتعاد عن
الناس ترك طهران في الثاني من ذي الحجة الحرام سنة (١٣٤٠ هـ -
كانون الثاني ١٩٢٢) ورحل إلى مدينة مشهد المقدسة، وبقي إلى
أواخر عمره بجوار مشهد الإمام الرضا عليه السلام.

أساتذته:

حضر السيّد العصار طيلة زمان دراسته في الحوزة العلمية
عند كبار أساتذة عصره، فقد درس عند الميرزا الشيرازي (ت
١٣١٢ هـ / ١٨٩٤ م) والآخوند الخراساني (ت ١٣٢٩ هـ / ١٩١١ م)
كما حصل على إجازة الرواية من الميرزا حسين النوري

(ت ١٣٢٠هـ / ١٩٠٢م) والسيد مهدي القزويني (ت ١٣٠٠هـ / ١٨٨٣م) والسيد محمد بحر العلوم والشيخ محمد حسن المامقاني (ت ١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م) والشيخ عباس كاشف الغطاء من علماء الشيعة والشيخ محمد بسيوني المكي الشافعي من علماء أهل السنة.

تلاميذه:

لقد ربّى السيد العصّار مجموعة كبيرة من الطلبة وغذاهم من فيض علومه، وقد أشار صاحب الذريعة إلى أحدهم وهو الميرزا أحمد بن صالح البادكوبّي (ت ١٣٠٠هـ / ١٨٨٣م).

سيرته العلمية:

لقد عاش المترجم حياة حافلة بالعلم والمعرفة وترك آثاراً علمية كبيرة، ولكن كثيراً منها - كما ينقل عنه - تعرّض للسرقه أو الضياع بسبب تنقلاته المستمرة من مكان آخر، ويعلم مما كتبه السيد المترجم له أنّه تعرّض خلال حياته للفقر والمصائب الكبيرة، وتعرّض في كثيرة من الأحيان لمحاولات الاغتيال، من ذلك ما ذكره في كتاب تاريخ العصّار: في الوقت الذي كثر فيه أصحاب الحوائج والمسائل عليّ، فإنّ ذلك لم يكن ليمنعني من تخصيص عمدة وقتي لطلب العلم، وبحمد الله لم أتحسّر أو أندم على

ذلك وكان مايسرني ويؤنسني هو أن أكون قرب المحبوب الحقيقي .
ولأنني كنت من العلماء الذين يوجهون الناس ويعبثونهم حتى
الشيخوخة فقد تعرّضت للإغتيال وجرححت خمس مرّات ولكن
الله تعالى نجاني من القتل بلطفه .

وبقيت مدّة طويلة تحت العلاج كي يتسنى لي الشفاء من تلك
الآلام والجروح ، وقد نجّاني الله تعالى من الغرق في السفر مرّتين ،
وكذلك حفظني من الحرق والهدم ، بعد كلّ تلك الحوادث الجسيمة
آثرت العزلة وترك الاختلاط مع كافة طبقات المجتمع ممّا حدا بي
إلى التعمّق في المسائل العلمية والنظر الدقيق في المطالب .

وفي أواخر عمري أصبت بالضعف الجسمي وأصيبت عينايا
بالعمى فأجريت عملية جراحية لها ولكنها لم تترك تأثيراً على
العين اليمنى ، ولكن العين اليسرى حصل لها بعض التحسّن حيث
تسنى لي بواسطة النظّارة والعدسة المكبّرة القراءة والكتابة ولكن
بصعوبة .

آراؤه الخاصة في المنهج الحوزوي:

للسيد آراء خاصة يعتقد بها بالنسبة للمنهج المتبع في الحوزة
العلمية ويرشد الطلبة وخصوصاً طلبة العلوم القديمة حيث كتب:
لا يلزم على الطلبة الدخول في دراسة علم المنطق من أي جهة

وكون المنطق يعصم الفكر من الخطأ كما هو معروف لا وجه له إلى أن يقول: ... ولذا تعتبر جميع الاصطلاحات المنطقية سريعة النسيان وقليلة الاستعمال في العلوم الأخرى، حتى في الحكمة فإن الاعتقاد السائد أن المنطق وضع لأجل فهم الحكمة ولكن لا أصل لهذه الشهرة.

وأما الفقه فيكفي دراسة المتون الفقهية التي تحيط برؤوس المسائل ويكفي من الأصول المختصرات منه كتهذيب العلامة ومعالم الأصول، وبعدها تلخيص الأصول وتلخيص الفرائد الذي هو توضيح المطالب المهمة التي تنفع في الفقه، وأما الرجوع إلى المطولات مثل القوانين والفصول والفرائد للشيخ الأنصاري وكفاية الأصول فهو من أسباب التأخير في الدراسة بلا مبرر.. وكذلك حضور درس خارج الفقه والأصول تضييع للعمر. وبنظري فإن قراءة بعض الكتب الاستدلالية مثل شرح اللمعة والمسائل وجامع المقاصد في حال وجود مدرّس قادر على الجمع بين تدريس هذه الكتب والتحقيق في مسائلها أحسن وأكمل من حضور بحث الخارج، وهو نافع للطلبة بشكل كبير.

آثاره:

١ - بركات الرضويّة: وهو دورة أصولية كاملة وقد جمع فيه

بين كتابي تلخيص الأصول وتلخيص الرسائل .

٢ - فقاهاة الرضوية: في الفقه الاستدلالي وهو جزءان: الأول في مقدمات الفقه وأصوله في أبواب العبادات والمعاملات أتمه في (٢٤ ذي الحجة سنة ١٣٤٦هـ).

ثم ذيله برسالة رجالية في أسماء وألقاب الأئمة: وأصحابهم ورواة كل رواية وأتمها في (٢ ربيع الثاني ١٣٤٧هـ).

وأما الجزء الثاني فهو من أول الطهارة إلى آخر التيمم، بدأ بتأليفه في (٢٤ ذي الحجة ١٣٤٦هـ) وأتمه في (النصف من شعبان ١٣٥٠هـ).

وقال حول كتابه فقاهاة الرضوية: وصحيح أن مقدمة الكتاب مفصلة ومطولة ولكن فائدتها هي أن الطالب إذا كان حاضر الذهن متوجه إلى مطالب الكتاب فإنه سيستغني عن الرجوع إلى الكتب المصنفة في الأصول والقواعد الفقهية المعروفة كقواعد الشهيد الأول وتمهيد القواعد للشهيد الثاني و...

٣ - تفسير ناسخ التفاسير: يوجد نسخة خطية منها في الآستانة الرضوية المقدسة.

٤ - تلخيص الكفاية .

٥ - شرح الزيارة الجامعة المسماة بالإلهامات الرضوية .

٦ - قوامع الأوهام في الرد على كتاب ينابيع الإسلام تأليف

- أحد النصارى كتبه في تخطئة الدين الإسلامى .
- ٧- رسالة في ردّ مذهب الوهابية - وهي التي بين يدك - .
- ٨- مواهب الرضوية في الردّ على الدعاة من المسيحيين والبهائيين والقاديانيين .
- ٩- مختصر حياة الإمام الرضا عليه السلام .
- ١٠- الإشراقات الرضوية: وهو شرح بالعربية على منظومة السبزواري .
- ١١- التوحيد الكمالي والأخلاق الكمالية - في علم الأخلاق - مجلدين كتبه في فترة إقامته في طهران .
- ١٢- ومن آثاره الشعرية:
- أ- لسان الغيب في استقبال المثنوي كتبه في أوقات التهجد في السحر، وامتاز بكثرة الاقبال عليه من الناس .
- ب- بيان الغيب في استقبال خواجه حافظ .
- ج- نياح الغيب في خروج الإمام الحسين عليه السلام من المدينة وواقعة الطف إلى رجوع أهل بيته إلى المدينة . وقد طبع مع كتاب آداب السلوك للرعية والمملوك .
- د- شرح منظوم على «گلشن راز» .
- إضافة إلى ذلك فقد نظم المؤلف مجموعة كبيرة من القصائد الغزليات والمخمّسات والرباعيات باللغتين العربية والفارسية .

- ١٣ - كما كتب شروحاً وحواشي كثيرة منها:
- أ - شرح كشف قواعد العلامة .
- ب - حاشية على كشف الفوائد للعلامة الحلّي .
- ج - وجوه تأمل على مكاسب الشيخ الأنصاري .
- د - شروح على قواعد الشهيد الأوّل .
- هـ - شرح وجيز على منظومة السيد بحر العلوم .
- ١٤ - قام المؤلف بتصحيح قسم من الكتب المهمة منها:
- أ - مكاسب الشيخ مرتضى الأنصاري .
- ب - مستدركات الوسائل .
- ج - قواعد الشهيد الأوّل .
- د - كشف الفوائد للعلامة الحلّي .
- هـ - منظومة السيد بحر العلوم .
- و - جزءان من إقبال السيد ابن طاووس .

وفاته:

توفي المرحوم العصار في التاسع من محرّم سنة ١٣٥٦ هـ ٢٢ آذار ١٩٣٧ في مشهد المقدسة ودفن في الايوان الذهبي للإمام الرضا عليه السلام .

منهج التحقيق

اعتمدت في تحقيق هذه الرسالة الشريفة على مخطوطتين موجودتين في مكتبة الاستانة الرضوية المقدسة الأولى كاملة بخط النستعليق ورمزنا لها بالرمز: «س» وهي رديئة الخط وكتبت سنة ١٣٤٣ هـ وعدد أوراقها ٣٠ بطول ٢١ وعرض ١٧ سم وهي مختلفة السطور.

وأما الثانية فرمنا إليها برمز: «ن» تمتاز بجودة الخط ولكنها ناقصة من الأخير وخطها النسخ وعدد الأسطر ٢٤ وعدد الأوراق ٢٤ بطول ٢١ وعرض ١٧ سم.

وقد قمت بمقابلة النسختين وبيّنت ما بينهما من الاختلاف وأصلحت الأخطاء الإملائية التي وردت وأشارت لها بالهامش واستخرجت الآيات والروايات من كتب الفريقين وغيرها، وقمت بتقطيع الرسالة طبقاً للقواعد الحديثة وأشكلت ما يحتاج إلى الشكل من العبارات وغير ذلك مما يرتبط بالإخراج والتقويم. وأشارت أحياناً بكلمة الأصل أو النسختين إلى «س» و «ن» وأسأل الله تعالى أن يجعل ذلك العمل القليل خالصاً لوجهه الكريم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

نعمان النصري

بسم الله الرحمن الرحيم **كان في أسنونه**

قوله في أسنونه
من الكتب

رب اشرح لي صدرى ويستر لى امرى واحل عقدة من لساني يفقهو قوله الحمد لله الذي هدانا
الى الاسلام جعلنا من امة محمد صلى الله عليه واله الاثرة الكرام عليهم الصلوة والسلام واللعنة
اللاعة على اعدائهم من الآن الى قيام يوم القيام وبعد يقول العبد المجاني محمد الحسين الطهراني
حليف الاثام والامانة الى ولاته الحمد من سوء القضاء او يكون الله تعالى يفعل ما يشاء واقع في
زمان نهاجم الفتن وقهاظم اعداء الدين المصيرين على تبديل الفرائض والسنن وتعطيل الاحكام
يبتدأ كيد في الشروا العلن وظهور ذلك للعين والعيان اغنانا عن تفصيل العناوين بالبيان
والعجب من جماعة الوهابية من انهم استسوا اساس العناد بعنوان ديانة العباد اعلى واعظم
من البائية والبهائية حيث زعموا انفسهم موحدون وتخلو فرق المسلمين مشركين وجعلوا القتل
والنهب والامرد والفكك ديانة محقة وعبادة محقة والعجب من ذلك اقامتهم الدليل على ما هم
من التزويل جهنم ان ظاهرة الاقاويل ذاهبين انهم جند الله الغالبون وسائر العالمين كفار مشركون ولما
من كتبهم الاضطهر ولا من اذنتهم للافساد ولقد اذنت من كتبهم كراما فاصا اقلاد واخر بعض الاحياء
من النساء للاجتهاد والاعجاب وسلافة العلماء والاعلام الاطياب سائلا من القرض لاجلهم مقالاتهم والقرض
لاستدلالهم فاجبت سرعا وكلمة من بعد ان كتبت ما يمكن جوابا عما في الاوراق الناقصة وجدت تلك الفتنة
تأصلا سلبا اولا واخرى وقد تعرض لما عليه بعض اصداقنا المعاصرين القاطن في الكاظمين والرسالة
على ما هو المعاصر لجهنم ابن عبد الوهاب النجاشي امام الفرقة الوهابية وخطي ذلك ذلك وان لم اجد
في هذه الاوراق والرسالة ما يشير الى صلح المقاتل المصير بلطال المجتبال وذلك لكون ذلك المعاصر
للتعرض لرسالة علمات هذا المضل القاصر والزيد في الجاهل قريبا المعد بتهاجم الوهابية على كبرلا
ومطلقا على امامهم وما هم في تلك الاوقات وكيف كان ففني ما قاله القائل ذلك والله المير الشيطان
زخرف القول غرورا علينا اقامته البرهان وابطال ما اتقوا وادعى المير الشيطان فنبذ بازهاق
اباطيله من ابتداء اقاويله فنقول قال المير الشيطان الرحيم بصلوات الرحمن الرحيم اغفالا للجهال
سبحه

الصفحة الأولى من النسخة «ن»

من جهة الاستغفار وهذا الكلام الذي في الكفر لم يترك احد من اهل الكفر في جوابه
 هذا الكلام في تفسير قوله الامانة شريك في ايمانهم فان الكفران كغيره من الجور
 وجميع هذه الاشياء كونه في الكفر علة في ايمانهم فان الكفران كغيره من الجور
 في وقت من مضى الى الان اثبتت الكفر والشرك في تفسيرهم بالدين والادب والعلوم
 والادلة التي لها عليهم مغزى من اثبتت الكفر في كل الزمان بغیر اكرامه فلم يكن له وجه
 في نظره من الكلام باذنه ولا في نظره خاصة في المقام والبرهان الذي به يدحض ما قام
 ادلة في التوراة والاسلام وهو ما يرجع عن ملكه امر به ارجع احكامهم في الدين والادب
 والاصول اسلاما لا غير ذلك ولا في الدنيا ولا في الآخرة ولا في الدنيا والآخرة
 استبدوا به في كل مقام من الارض والسموات والارض والآخرة ولا في الدنيا والآخرة
 والاسلام في كل مقام من الارض والسموات والارض والآخرة ولا في الدنيا والآخرة
 من توبة من الله في يوم النحر في كل مقام من الارض والسموات والارض والآخرة
 على وجهه في كل مقام من الارض والسموات والارض والآخرة ولا في الدنيا والآخرة
 الكلام بغير ان نتيجة مقالة في النظر الى اخر من الانعام فان مراده من توبة
 المتوبين ان يغفروا له ولا يغفروا له في كل مقام من الارض والسموات والارض والآخرة
 طلب اليقين في ايمان الله والامانة والبرهان في كل مقام من الارض والسموات والارض والآخرة
 والفضيلة التي بها يسمي الاسلام والامانة والبرهان في كل مقام من الارض والسموات والارض والآخرة
 ايمانهم في كل مقام من الارض والسموات والارض والآخرة ولا في الدنيا والآخرة
 المسلمين باخلاقهم في كل مقام من الارض والسموات والارض والآخرة ولا في الدنيا والآخرة
 وحرف عن الاسلام بالظلمة في كل مقام من الارض والسموات والارض والآخرة ولا في الدنيا والآخرة
 في الدين واطلاق النظام ما عليه كانه امانة من كل مقام من الارض والسموات والارض والآخرة
 في بارئهم ادم له الظاهر في كل مقام من الارض والسموات والارض والآخرة ولا في الدنيا والآخرة
 راجع الى القول بالعلم وفيه اكلهم في سراج الاسلام وعلم العقول لبقا لبقا
 في سراج العقول لبقا لبقا في سراج الاسلام وعلم العقول لبقا لبقا
 الوضعية للامانة في كل مقام من الارض والسموات والارض والآخرة ولا في الدنيا والآخرة
 وقد فرغت من توبة هذه الدار في كل مقام من الارض والسموات والارض والآخرة ولا في الدنيا والآخرة

في كل مقام من الارض والسموات والارض والآخرة ولا في الدنيا والآخرة
 في كل مقام من الارض والسموات والارض والآخرة ولا في الدنيا والآخرة
 في كل مقام من الارض والسموات والارض والآخرة ولا في الدنيا والآخرة

الصفحة الأخيرة من النسخة «س»



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[مقدمة المؤلف]

«رَبِّ أَسْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي»^(١).

الحمد لله الذي هدانا إلى الاسلام، وجعلنا من أمة محمد ﷺ والأئمة الكرام عليهم الصلاة والسلام، واللجنة الدائمة على أعدائهم من الآن إلى قيام يوم القيام.

وبعد؛ فيقول العبد الجاني محمد الحسيني الطهراني، حليف الآثام والأمان:

إني - والله الحمد - من سوء القضاء أو لكون الله تعالى يفعل ما يشاء واقع في زمان تهاجم الفتن، وتعاضم أعداء الدين، المصيرين على تبديل الفرائض والسُنن، وتعطيل الأحكام بجِدِّ أكيد في السر والعلن، وظهور ذلك للعين والعيان أغنانا عن

١ - سورة طه: الآيات ٢٥ - ٢٨.

تفصيل العناوين بالبيان .

والعجب من الجماعة الوهابية من أنهم أسسوا أساس العناد، بعنوان ديانة العباد، أعلى وأعظم من البائية والبهائية؛ حيث زعموا أنفسهم موحدين، وكل فرق المسلمين مشركين، وجعلوا القتل والنهب والأسر والغصب ديانة حقّة، وعبادة مستحقّة، وأعجب من ذلك إقامتهم الدليل على مرامهم من التنزيل، بعنوان ظاهره لا التأويل، زاعمين أنهم جند الله الغالبون، وسائر المسلمين كفار مشركون، ولم أر من كتبهم إلا شطراً، ولا من أدلتهم إلا نزراراً. ولقد أراني من كتبهم كراساً ناقصاً أولاً وآخرراً بعض الأحباب، من السادة الأجلة الأنجابه، وسلالة العلماء الأعلام الأطياب، سائلاً مني التعرّض لأجوبة مقالاتهم، والردّ لاستدلالاتهم، فأجبتهم حبّاً وكرامة، وبعد أن كتبت ما يمكن جواباً عما في الأوراق الناقصة وجدت تلك النسخة تامة سليمة^(١) أولاً وآخرراً، وقد تعرّض لما عليه بعض أصدقائنا المعاصرين القاطن في الكاظمين، والرّسالة - على ما عرفه المعاصر - لمحمد بن عبد الوهاب الحجازي؛ إمام الفرقة الوهابية، وظنّي أنّه كذلك وإن لم أجد في هذه الأوراق والرّسالة ما يشير إلى صاحب

١ - في الأصل : تامة سليماً ، والصواب ما أثبتناه .

المقال المصّر بإضلال الجهّال - وذلك لكون ذلك المعاصر المتعرّض
لردّ كلمات هذا المضلّ القاصر والزنديق المجاهر قريب العهد
بتهاجم الوهابية على كربلاء [ء]، ومطلّعا على إمامهم ورأيهم في
تلك الأوقات.

وكيف كان؛ فنحن نرى ما قاله القائل زوراً، وألقى إليه
الشیطان زخرف القول غروراً، وعلينا إقامة البرهان، وإبطال ما
ألقى وأوحى إليه الشیطان، فنبدأ بإزهاق أباطيله من ابتداء
أقاويله فنقول:

قال مريد الشیطان الرجیم: «بسم الله الرحمن الرحيم»
إغفالاً للجهّال، بكونه مؤسس الإضلال، وجالب الخزي وخيبة
الآمال، إلى العامة والجهّال، والله العالم بالسّر وأخفى وأعماق
الخیال، ثمّ قال:

«اعلم - رحمك الله - أنّ التوحيد هو إفراد الله بالعبادة، وهو
دين الرسل والّذين أرسلهم الله تعالى به إلى عباده؛ فأولهم
نوح؛ أرسله الله تعالى إلى قومه لما غلوا في الصالحين؛ ودأ،
وسواعاً، ويغوث، ويعوق، ونسراً، وآخر الرّسل محمّد ﷺ،
وهو الذي كسر صور هؤلاء الصالحين، أرسله الله إلى أناس
يتعبّدون، ويحبّون، ويتصدّقون، ويذكرون الله كثيراً ولكنهم
يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله يقولون نريد

منهم التَّقَرَّبَ إلى الله، ونريد شفاعتهم عنده، مثل الملائكة، وعيسى بن مريم، وأناس غيرهم من الصَّالِحِينَ، فبعث الله محمداً يحدِّد لهم دين أبيهم إبراهيم، ويخبرهم أن هذا التَّقَرَّبَ والاعتقاد محض حقَّ الله، لا يصلح منه شيء لملك مقرب، ولا نبي مرسل، فضلاً من^(١) غيرهما، وإلا فهؤلاء المشركين^(٢) الذين قاتلهم رسول الله، يقرُّون بأنَّ الله تعالى هو الخالق الرَّازِق، وحده لا شريك له، وأنَّه لا يرزق، ولا يحيي، ولا يميت إلا هو، وأن جميع السَّمَاوَاتِ السَّبع ومن فيهنَّ، والأرض ومن فيها، كلُّهم عبيده، وتحت تصرُّفه وقهره، فإذا أردت الدليل على أن هؤلاء المشركين الذين قاتلهم رسول الله يشهدون بهذا، فاقرأ قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾^(٣) وقوله تعالى ﴿قُلْ لِمَنْ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ اللَّهُ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾^(٤) وقوله تعالى ﴿قُلْ مَنْ

١ - كذا، والصحيح عن.

٢ - كذا والصحيح: المشركون.

٣ - سورة يونس: الآية ٣١.

٤ - سورة المؤمنون: الآيتان ٨٤-٨٥، وفي المصدر: تتقون وهو خطأ، والصحيح ما أثبتناه.

بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيزُ وَلَا يَجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ اللَّهُ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ^(١) إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ» انتهى محل الحاجة .

أقول : ويشير بذلك إلى قوله تعالى «قُلْ لِمَنْ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ^(٢) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ» ولا بد لنا من توضيح مقالاته وتشريح كلماته وتلخيص مراداته، ثم بيان ما يرد على مراده من عباراته.

وقبل الشروع في التوضيح والتشريح لا بد لنا من تقديم مقدمة شريفة يستمد بها على تخريب [ال] أساس الذي أسسه بإبطال استدلالاته السخيفة، وهي أن العبادة خضوع وخشوع خاص لا ينبغي لأحد غير الله تعالى، وفعلها بتلك الخصوصية لغيره تعالى تشريك له في العبادة وإن لم يسمَّ عبادة بل سمي شفاعة، وسيأتي بيان المناسبة بين العبادة والشفاعة ببعض معانيها المتصورة إن شاء الله تعالى.

والخضوع الخاص فيما جبّل به الأشياء تكويناً يرشدنا إليه قوله تبارك وتعالى: «وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبُحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا

١ - سورة المؤمنون: الآية ٨٨ - ٨٩.

٢ - إن كنتم تعلمون ساقطة من الأصل.

تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ»^(١) وأيضاً له خضوع تشريعي يدلنا عليه قوله تعالى: «وله يسجد من في السماوات والأرض»^(٢) الخ وقوله تعالى: «له من في السموات والأرض كل له قانتون»^(٣) وقوله تعالى في وصف المؤمنين: «الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف»^(٤) الخ إلى غير ذلك مما دلّ على تشريع كيفية العبادة لله تعالى، والخضوع التكويني للأشياء ناشٍ عن علمها الفطريّ بأنّ المولى الحقيقي [الذي] يستحقّ العبادة والخضوع التشريعيّ بالكيفية الخاصّة يحتاج إلى معلّم يعلم العباد كيفية العبادة لله تعالى، والنبيّ هو المنبئ عن الله، وأنّه المولى المستحقّ فقط للعبادة، ولا يستحقّها غيره، فيعبده المتعلّمون إما خوفاً من ناره، أو شوقاً إلى جنّته، أو لكونه أهلاً لذلك كما نطق به أمير المؤمنين عليه السلام في مناجاته حيث قال: «إلهي ما عبدتك خوفاً من نارِكَ، ولا شوقاً إلى جنتِكَ، بل وجدتك أهلاً لذلك»^(٥).

١- سورة الإسراء: الآية ٤٤.

٢- لا توجد هكذا آية في القرآن، ولكن يوجد قوله تعالى: «وله يسجد من في السماوات والأرض».

٣- سورة الروم: الآية ٢٦.

٤- سورة التوبة: الآية ١١٢.

٥- علل الشرائع ص ٥٧.

ينطق العقل [بل] الله أعبدوا^(١)

ولشمسٍ قمرٍ لا تسجدوا

ذا نداء لم يزل مرتفعاً^(٢)

بنداء العقل جمع أهدوا

أيقنت أنفس جمع بالنداء^(٣)

وبظلم وعتو جحدوا

قلدوا أسلافهم في منكر

وللاتٍ ولعزى سجدوا

[من هو المستحق للعبادة]

وحاصل المقصود أن المعبود هو الله، ولا يستحق العبادة سواه؛
لأنحصار موجباتها به وحده لا شريك له، فالعابد لغيره مشرك
ولو كان هواه أو ما يهواه، ولو كان محبوباً للإله فضلاً عن أن يكون
مخلوقاً لا وجاهة له عند الله كالخشبة المنحوتة أو الذهب المصوغ
بأي شكل ترضاه، والخضوع بغير الكيفية المخصوصة للأكابر من
الأولياء لا يصدق عليه العبادة، ولو أطلق عليه لفظها كان إطلاقاً

١ - ما بين المعقوفتين ساقط من «س».

٢ - في «س» و «ن»: مرتفع، والصحيح ما أثبتناه.

٣ - في «س»: بالنداء.

مجازياً أو توسعاً بمعنى جعل الخضوع لهم خضوعاً لله بغير الكيفية الخاصة لكون ذلك حباً لمحبوب الله تعالى وحبّ محبوب الله حبّ الله، وذلك واضح لمن تدبّر وأنصف لا لمن عاند واعتسف.

تبصرة تذييلية:

جملة «العبودية جوهره كنهها الربوبية» يجب أن يكون لها معنى معقولاً أرادته المتكلم بها سواء أذعنّا كونها من الأحاديث القدسية أم لا، وما يتوهم من ظاهرها من أنّ العبودية موصلة للعبد بمقام الربوبية غير مراد قطعاً للزوم انقلاب الشيء إلى ضده، فيكون العبد مولى، وهذا خلف.

والمعنى المعقول أن يراد بها أنّ العبودية تجعل^(١) العبد واسطة لا يصل فيض التربية من الرب الأعلى إلى المربوبين، فيكون ربّاً بالغير، وبذلك تصير^(٢) له رتبة عالية لا يناها من لم يحصل له مقام العبودية للرب الأعلى، وبذلك كان النبي المصطفى ﷺ أفضل من جميع الأنبياء العظام؛ لإحرازه مقام العبودية أولاً، وشرف بلقب العبودية قبل الرسالة كما يشير إليه شهادة أن محمداً عبده ورسوله

١ - في «س» و«ن» يجعل والأنسب ما ذكرناه.

٢ - في «س» و«ن» يصير والأنسب ما ذكرناه.

حيث قدّم العبوديّة على الرسالة، وعلى ذلك يتفرّع تفضيل بعض الأنبياء على بعض، كما أنّه يتفرّع على ذلك ثبوت حقّ للعبد على الرّب، فيصحّ أن يقال: اللهمّ إنّني أسألك بحقّ محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين والتّسعة المعصومين من ذرّيّة الحسين صلوات الله عليه وعليهم أجمعين؛ لأنّهم بالعبوديّة استحقّوا التّكريم والوجاهة عند الله وحبّه تعالى لهم ﷺ؛ وذلك لاقتضاء ذات العبوديّة لثبوت هذا الحقّ عليه، والموجب لذلك عليه تعالى هو نفسه جلّ جلاله وعظم شأنه وسلطانه ولا إله غيره؛ إذ لا موجب سواه.

ليس على خالق أرض وسما حقّ لمخلوق إليه يتما إلا حقوق أوجب الفيض لها عليه من بذل الوجود العدماء تكريمه لعبده المستجب حقّ له بفضلته إختما

[وجوب تعظيم ما ينسب إلى المنتجبين]

ويتفرّع على ذلك وجوب التعظيم والتّكريم على الأنام لكل ما ينسب إلى ذلك العبد المنتجب كالباب، بل عتبة داره وقبره والضريح الدائر حول قبره، وهذا الوجوب استحسان عقلائيّ عليه عامّة أهل العرف في سيرهم وأعمالهم، وهذا مما لا شك فيه ولا شبهة تعتريه، ولنعم ما قيل:

أمر على جدار ديار ليلي
أقبل ذا الجدارَ وذا الجدارا
وما حبّ الدّيارِ شغفنَ قلبي
ولكن حبُّ من سكّن الدّيارا^(١)

[الأثار المترتبة على الإضافة التشريفية]

والعارفون بما عليه قاطبة العقلاء من حيث كونهم عقلاء في محاوراتهم، كثيراً ما يرتّبون على الإضافة التّشريفية أموراً كثيرة، ففي أمثال: بيت الله وكتاب الله ورسول الله في المحاورات كثيرة؛ كلّها إضافة تشريفية فيقال نديم السلطان كاتب السلطان وأمين السلطان، ولا شكّ عندهم أنّ الإنسان محترم حيّاً وميتاً، ويدلّ على ذلك مضافاً إلى سيرة العقلاء جعل التّغسيل والتّكفين والتّدفين في الشّرع، وجريان أحكام الحياة على الأموات من الشّجاج وقطع الأعضاء، وأحكام القبور من حرمة النّبش واستحباب تعليته عن الأرض وغيرها، وجعل العلامة لها، فإذا كان الإنسان مكرّماً فكلّما ازداد له الشّرافة والإضافة التّشريفية بكونه نبيّ الله أو وليّه أو حبيبه زاد احترامه واحترام ما ينسب

١ - البيتان لقيس بن الملوّح العامري (مجنون ليلي) وهما في أغاني الأغاني ١: ١٤٦ ط

٢ - سنة ١٩٩٣.

إليه، والمنكر لذلك إمّا معاند لجوج أو مجامل لجوج .
 بل نقول: إن المنكر لذلك منكر لما هو ضروريّ في الدين، فهو
 مرتدّ من الدين (ومن يرتد عن دينه فأولئك هم الكافرون)^(١)
 يشمله، فيجب أن يجري عليهم أحكام الارتداد، بل يجب
 إعدامهم لكونهم مؤسّسين للفساد، ولا يختصّ رفع الفساد في
 الأرض بالمسلمين، بل يجب على عامّة العباد.
 إذا عرفت ما تلونا عليك فاعلم أن مراده من أوّل مقاله بعد
 التسمية بقوله: «اعلم يرحمك» إلى آخر كلامه أن التوحيد عبارة
 عن إفراد الله تعالى وتخصيصه بالعبادة، فلا يشرك في عبادته أحد،
 فكلّ من أشرك أحداً في العبادة مع الله فهو مشرك يجب قتاله، كما
 قاتل النبي ﷺ المشركين لذلك مع كونهم قائلين بالله الخالق الرازق
 المحيي المميت المدبّر، ويوضح أن هذا خلاصة مقالاته التي يشير
 إليها بعد ذلك، وأنت عرفت ممّا ذكرنا أن العبادة بالمعنى المذكور في
 المقدمة مختصة بالله تعالى، لكنّ ما ذكره من اختصاص التوحيد
 بذلك، وكون التوحيد الذي قاتل [عليه] النبي ﷺ المشركين
 مختصاً بالتوحيد في العبادة باطل لا ينبغي صدوره عن العاقل؛ لأنّ
 التوحيد للذات أعلى وأشرف ما يتحقّق به التوحيد، بل ليس

١- انظر الآية: ٣٠ من سورة التوبة.

أحد موحداً إلا باعتقاد في مقامات أربع: توحيد الذات، وتوحيد الصفات، وتوحيد الأفعال، وتوحيد العبادة، وسيجيء زيادة بيان لذلك إن شاء الله تعالى.

هذا مضافاً [إلى] أن النبي ﷺ لم يقاتل المشركين في العبادة وحدهم، بل قاتل المجوس القائلين بالنور والظلمة، واليهود القائلين بأنّ عزيراً ابن الله^(١)، والنصارى القائلين بالأقانيم الثلاثة، ومشركي العرب القائلين بأن أوثانهم آلهة، والدّهريّة المنكرين للصانع، القائلين بأنه لا يهلكنا إلا الدهر^(٢) إلى غير ذلك من أقسام المشركين وعبدّة الكواكب^(٣) والشمس والقمر، فليس الشرك منحصراً بالشرك في العبادة، ولم يكن مقاتلة النبي ﷺ مختصة بهم.

ثم إنّ المشار إليه بقوله: «ويخبرهم أن هذا التقرب والاعتقاد محض حقّ الله» غير مفهوم لنا، بل لا يتصوّر له معنى، لأنّ المشار إليه بالاعتقاد لا بدّ أن يكون هو الاعتقاد بوساطة المخلوق بين العبد وخالقه، وليس فيما^(٤) أشار إليه في كلامه ما يناسب للاعتقاد

١ - انظر الآية ٣٠ من سورة التوبة.

٢ - انظر الآية ٢٤ من سورة الجاثية.

٣ - في النسختين: الكوكب والصحيح ما ذكرناه.

٤ - في النسختين: ما والصواب ما ذكرناه.

المذكور، ويكون حقاً لله محضاً؛ لأن معنى كونه حقاً لله أن يعتقد ذلك لله، ولا يمكن ذلك بالنسبة إلى الله؛ فإن الوساطة بين اثنين إنما تكون^(١) بثالث، فلا تكون الوساطة لله بين نفسه وعبده. والحاصل أن الاعتقاد بالوساطة ليس حقاً لله، فيكون عطف الاعتقاد على التقرب وجعله حقاً لله باطلاً.

فإن قلت: كيف يتصور كون الشفاعة لله وقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً﴾^(٢)؟

قلت: معنى كون الشفاعة لله أن الشفاعة لا تكون^(٣) لأحد إلا بإذن من الله له، والوساطة بهذا المعنى أيضاً حق لله تعالى، ونحن نقول به بمعنى أن الوساطة بين العبد وخالقه للمخلوق لا بد أن تكون بإذن منه تعالى، وهي بهذا المعنى عين الشفاعة ومحض له تعالى فلا يجوز أن يجعل أحد واسطة عنده إلا بإذنه، فيكون مأذوناً في الوساطة والشفاعة، فيكون الاستشفاع مأذوناً فيه، بل مأموراً به لقوله تعالى لنبيه: ﴿فَأُذِنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾^(٤) وقوله تعالى: ﴿وَأَسْتَغْفِرْ لِدُنُوبِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ

١- في النسختين: يكون والانصب ما ذكرناه.

٢- سورة الزمر: الآية ٤٤.

٣- في الاصل: يكون، والصحيح ما أثبتناه.

٤- سورة النور الآية ٦٢.

وَالْمُؤْمِنَاتِ^(١) وَغَيْرُهُمَا مِنَ الْآيَاتِ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَأْذَنَ فِي الشَّفَاعَةِ لَهُ وَلِلْأُمَّةِ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾^(٢) وَبَعَثْنَا عَنْهُمُ الشَّفَاعَةَ لَهُمْ، بَلْ يَدُلُّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾^(٣) [عَلَى] أَمْرِنَا بِالْإِسْتِشْفَاعِ.

وَعَلَى هَذَا نَقُولُ: الْإِسْتِشْفَاعُ بِالْأَصْنَامِ لَيْسَ مَأْذُوناً فِيهِ، بِخِلَافِ الْإِسْتِشْفَاعِ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ؛ فَإِنَّهُ أَمْرٌ مَأْذُونٌ فِيهِ، مَرْغُوبٌ إِلَيْهِ؛ فَلَا يَكُونُ شَرْكاً. وَسَيَجِيءُ زِيَادَةُ تَحْقِيقِ وَتَوْضِيحِ لَذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

ثُمَّ قَالَ: «إِذَا تَحَقَّقْتَ أَنَّهُمْ مَقْرُونُونَ بِهَذَا، وَلَمْ يَدْخُلْهُمْ فِي التَّوْحِيدِ الَّذِي دَعَاهُمْ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَرَفْتَ أَنَّ التَّوْحِيدَ الَّذِي جَعَلَهُهُ هُوَ تَوْحِيدُ الْعِبَادَةِ الَّذِي يَسْمِيهِ الْمُشْرِكُونَ فِي زَمَانِنَا: الْإِعْتِقَادَ، كَانُوا يَدْعُونَ اللَّهَ لَيْلاً وَنَهَاراً، ثُمَّ مِنْهُمْ مَنْ يَدْعُو الْمَلَائِكَةَ لِأَجْلِ صَلَاحِهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنَ اللَّهِ لِيَشْفَعُوا لَهُ، أَوْ يَدْعُو رِجَالاً صَالِحاً مِثْلَ اللَّاتِ، أَوْ نَبِيّاً مِثْلَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَعَرَفْتَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَاتَلَهُمْ عَلَى هَذَا الشَّرْكِ وَدَعَاهُمْ إِلَى إِخْلَاصِ

١ - سورة محمد ﷺ، الآية ١٩.

٢ - سورة الطور: الآية ٢١.

٣ - سورة المائدة: الآية ٣٥.

العبادة لله كما قال الله تعالى : ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾^(١) وقال تعالى : ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ﴾^(٢) انتهى محل الحاجة .

أقول : خلاصة مقصود المستدل بالآيات أن الكفار والمشركين كانوا مقرّين بالله تعالى ، وكونه ربّ السماوات والأرض ، وببيده ملكوت كلّ شيء ، لكن لم يكن ذلك توحيداً دعاهم النبي ﷺ لعدم الحاجة إلى الدعوة إلى ما هم مقرّون به ، فلزم أن يكون المدعو إليه من التوحيد هو التوحيد في العبادة ؛ بأن لا يدعوا^(٣) غير الله تعالى ، وتكون عبادتهم خالصة لوجه الله تعالى ، وحيث إنهم أنكروا عليه ﷺ ؛ فمنهم من أشرك الملائكة معه ، ومنهم من أشرك رجلاً صالحاً كاللات ، ومنهم من أشرك نبياً مثل عيسى عليه السلام قاتلهم النبي على ذلك ، وكانوا يقولون : ﴿هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾^(٤) كما يقول به المشركون في هذا الزمان ، فكما عاملهم النبي ﷺ بالقتل والقتال لأجل جعلهم هؤلاء شفعاء ، ولم يكونوا من أهل التوحيد ، مع الإقرار بالله وكانوا مشركين لأجل

١ - سورة الجن : الآية ١٨ .

٢ - سورة الرعد : الآية ١٤ . وفي الأصل : فلا والصحيح ما أثبتناه .

٣ - في الأصل يدعون والصحيح ما ذكرناه .

٤ - سورة يونس : الآية ١٨ .

تشريكهم هؤلاء به تعالى في العبادة، فكذلك يكون حال كل من أستشفع عند الله بأحد من الأنبياء؛ فإنه مشرك يجب المعاملة معه معاملة المشركين.

هذا خلاصة كلامهم. لكن الآيات المذكورة غير دالة على مرامهم، وذلك لأن الاستفهام في الآيات المذكورة تقريرى، ويتفرع على إقرارهم بطلان عملهم ولوازمه، فيكون حاصل الكلام المتفرع على إقرارهم بأن الله رب السماوات والأرض، وبيده ملكوت كل شيء أنه أي منزلة هؤلاء الآلهة التي تدعونهم، وأي شيء يصدر عنهم مما هو من شأن الألوهية، يعني إذا كان رب السماوات والأرض هو الذي بيده ملكوت كل شيء، وهو يجير ولا يجار عليه، فلا يصدر من غيره شيء من هذه الأمور، ومع عدم حصول شيء [من] غيره؛ فكيف تجعلون هؤلاء آلهة، وكيف تتوسلون بشيء لا يملك نفعا ولا ضرا، وكيف تستشفعون بمن لا وجاهة له عند الله؟! فإن الاستشفاع بشيء يتوقف على كونه قابلاً لها بكونه وجيهاً محترماً عند المستشفع إليه، فيكون تسمية هؤلاء آلهة خطأ وباطلاً، وجعلهم شفعاء خطأ وباطلاً، والتعظيم والخضوع لهم خطأ وباطلاً؛ لعدم الموجب لذلك لهم؛ لأن الموجب للتعظيم والتكريم الانتساب إلى الله بنحو من الأنحاء من نبوة أو ولاية أو صلاح، والخشبة المنحوتة أو الذهب المصوغ بشكل مرضي لا

انتساب إلى الله بنحو من الانحاء المذكورة، فتكريمهم خطأ وباطل، والخضوع لهم بما لا يستحقه غير الله تعالى خطأ وباطل. وعلى هذا فعمل النبي ﷺ مع هؤلاء المشركين بالمقاتلة إنما هو لكونهم مرتكبين للخطايا والأباطيل، وليس شيء منها فيما عليه المسلمون المرميئون بالشرك عند هؤلاء الجماعة المستدلّين بهذه الآيات من الاستشفاع بالأنبياء والأئمة عليهم السلام واللّو [١] ذبّ قبورهم، والاستغاثة بهم في الشدائد، وسيأتي زيادة بيان لذلك إن شاء الله تعالى.

ثم قوله: «التوحيد الذي جحدوه هو توحيد العبادة الذي يسمّونه المشركون في زماننا اعتقاد» الخ كلام لا يفهم معناه، بل لا محصل له؛ إذ المشركون في زمن النبي ﷺ من عبدة الأوثان المقرّون بالله تعالى وجحدهم توحيد العبادة غير ملازم لكون توحيد المشركين في زمانهم بزعمهم جحداً لتوحيد العبادة، بعد عدم عبادتهم وخضوعهم لأحد من الأنبياء والأولياء بكيفية العبادة والخضوع لله تعالى، وتسمية الاستشفاع بهم عبادة لهم غلط واضح؛ لأنّ التوسّل بالشفيع لأجل الشفاعة ليس عبادة له، بل إظهار لوجاهتهم عند الله، ولا مماثلة بين استشفاع عبدة الأوثان والمشركين^(١) في زمان النبي ﷺ، واستشفاع المستشفعين بالأنبياء

١ - في «س» و«ن» المشركون والصواب ما أثبتناه.

والأولياء حيث إنّ عبدة الأوثان كانوا يعملون من أصناف العبادة لله ما يعملون للأصنام، ويجعلون الصنم معبوداً ليقبل الله عبادتهم ولم يكن لهم عبادة مخصوصة لله تعالى، واستشفاعاً بالأوثان، وهذا بخلاف استشفاع المستشفعين بالأنبياء والأولياء؛ فإنّ عباداتهم كلّها لله، والاستشفاع كالاستغفار للعفو عن الذنوب، وأين هذا من ذاك؟! وقول الله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(١) صريح في ذم عبدة الأوثان بتركهم عبادة الله، وعبادتهم الأوثان، وتسميتهم لها شفعاء، وجعلهم من لا يستحقّ العبادة معبوداً بعبادة لا يستحقّها غير الله تعالى، وهذا العمل تشريك منهم لله جلّ وعزّ، وهو لا يعلم لنفسه شريكاً في السماوات ولا في الأرض.

والحاصل أنّ عبدة الأوثان لم يكونوا عابدين لله، بل كانوا يعبدون الأصنام زعماء منهم عدم قابليتهم لعبادة الله، فكانوا يعبدون الأوثان؛ ليشفعوا لهم عند الله، فتقضي مهمّاتهم وحوائجهم، ولا مناسبة بين ذلك وبين الاستشفاع بالأنبياء

١ - سورة يونس: الآية ١٨.

والأولياء كما لا يخفى، مع أن الاستشفاع من أمور لا تجوز إلا بإذن من الله تعالى عموماً أو خصوصاً، فالاستشفاع بمن لم يأذن الله جعله شافعاً باطل وحرام يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾^(١) وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى﴾^(٢) فإنّ عدم شفاعة الشّفعاء إلاّ بالإذن في الشّفاعة يستلزم لزوم الاستيذان في الاستشفاع للمستشفعين ومن يُستشفع به، فمن لم يجعل شافعاً من قبل الله لا يستشفع به لكونه غير مأذون فيه.

وبتقرير آخر لا يُشَفَّعُ^(٣) أحد عند أحد أحداً ما لم يعلم أو يظن كونه مقبول الشّفاعَة، فمن يمكن معرفة كونه كذلك كالمقربين عند السّلاطين والأكابر والخصيصين من أصحاب العلماء يستشفع به؛ لدلالة هذا الموقف على جواز الاستشفاع به وذلك أمر عقلائيّ ومن لم يعرف بهذا الوصف، فلا دليل على جواز الاستشفاع به بل يعدّ التوسل والاستشفاع به لغواً وباطلاً لا يقدم عليه إلاّ السفیه والعابث.

وحينئذ فنقول: إنّ الأنبياء والأولياء حيث إنّهم معلوم كونه

١- سورة البقرة: الآية ٢٥٥.

٢- سورة الأنبياء: الآية ٢٨.

٣- في الأصل يستشفع، والصحيح ما أثبتناه.

مقبول الشفاعة عند الله جاز التوسل بهم، وأما الخشب المنحوت والذهب المصوغ بشكل نبي أو ملك أو رجل صالح فلم يعلم كونه مقبول الشفاعة بل المعلوم عدمه، فكيف يجعل شفيعاً عند الله؟ ولأجل ذلك أمر الله تعالى رسوله الأكرم ﷺ: ﴿قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(١) يعني هل تخبرون الله العالم بكل الأشياء بما ليس في السماوات والأرض.

وحاصل الكلام أن الشريك لله تعالى ليس في السماوات والأرض حتى يعلمه، وشفيع يقبل شهادته عند الله مما لا يضر ولا ينفع أيضاً ليس في السماوات والأرض حتى يعلمه الله تعالى، فقولهم: هؤلاء شفعاؤنا عند الله شيء ينبئون الله بما لا يعلم في السماوات والأرض.

ثم إن الظاهر أن مراده بالمشركين في زماننا هم المستشفعون بالأنبياء والأولياء، العائدون بهم، اللائذون بقبورهم، والمستغيثون^(٢) بهم في الشدائد، لكن لم يعلم أن المشار إليه بالضمير في «يسميه» هل هو جحد التوحيد في العبادة أو غيره؟ فان كان مرجع الضمير هو جحد التوحيد في العبادة فهو - مع أنه غير قابل لتسميته اعتقاداً، فإن الإنكار أمر عديم لا يصح أن يجعل من

١ - سورة: يونس: الآية ١٨.

٢ - في الأصل: المستشفعين ... العائدين ... المستغيثين، والصحيح ما أثبتناه.

قبيل الاعتقاد الذي هو وجودي - كذب صريح، فإنّ أحداً ممن يستشفع بالأنبياء والأولياء لم يجحد التوحيد في العبادة حتّى أنّهم جعلوا عبادة المرأى باطلة بعدم الخلوّص فكيف يسمّون شيئاً لم يقولوا به اعتقاداً، وإن كان مرجع الضمير غير جحد التوحيد في العبادة؛ فليس في الكلام ما يدلّ عليه.

والحاصل أنّي لم أستفد من هذه العبارة معنى متصوّراً معقولاً، لكنك عرفت ممّا تقدّم أنّ قوله: «وعرفت أنّ رسول الله ﷺ قاتلهم على هذا الشّرك ودعاهم إلى الإخلاص» تخصيص لا دليل عليه؛ لاشتغال أفعالهم على خطايا أربع كلّها أباطيل؛ فلا دليل على اختصاص فعل النّبي ﷺ ومقاتلة رسول الله معهم بخصوص أحد الخطايا والأباطيل، ولو فرضنا الاختصاص فهو بالنسبة إلى عبدة الأوثان، فلا ربط له بالمستشفعين بالأنبياء والأولياء والداعين لهم للوساطة والشفاعة، من غير أن يجعلوهم معبوداً يعبدونهم بما يعبدون الله به وخضوعهم لهم بغير تلك الكيفية ليس بعبادة لهم، بل هو تعظيم وتكريم لهم باعتبار أنسابهم إلى الله بالاضافة التشرifiّة.

ثم قال: «وتحققت أنّ رسول الله ﷺ قاتلهم لتكون الطاعة كلّها لله، والنذر كلّه لله، والذّبح كلّه لله، والاستغاثّة كلّها لله، وجميع انواع العبادات لله، وعرفت أنّ إقرارهم بتوحيد الربوبية

لم يدخلهم في الإسلام، وأن قصدهم الملائكة والأنبياء يريدون شفاعتهم والتقرب إلى الله بذلك هو الذي أحلّ دماءهم وأموالهم، عرفت حينئذ التوحيد الذي دعت إليه الرسل وأبى عن الإقرار به المشركون.

أقول: خلاصة مقصود القائل أن النبي قاتل الكفار لكون دعائهم ونذرهم وذبحهم لغير الله تعالى، واستغاثتهم وعباداتهم لغيره تعالى، ودعاهم إلى فعل ذلك كله خالصاً لوجهه الكريم، فانكروا عليه فقاتلهم ليردّهم عن ذلك إلى أن يكون كل ذلك لله، وقصدهم في هذه الأعمال للملائكة أو الأنبياء أو الأولياء للشفاعة عند الله عزّ وجلّ والتقرب به لم يدخلهم في الإسلام بل أحلّ دماءهم وأموالهم للمسلمين، يريد بهذا البيان تأكيد ما ذكره من أن النبي ﷺ إنما كان يدعو المشركين المقربين بالله إلى التوحيد في العبادة. انتهى خلاصة المرام.

لكن غير خفي على المتدبّر الخبير والمتدرب البصير أن دعوة النبي ﷺ هؤلاء المشركين إلى التوحيد في العبادة غير منافع لدعوتهم إلى وحدة الذات والإقرار بكون الله تعالى خالق السماوات والأرض، وبيده ملكوت كل شيء بعد جعل الشريك له في العبادة دليل على قصورهم عن معرفة وحدة الحق بالذات؛ فإن العارف بذلك لا يمكن أن يسمي غيره كائناً ما كان إلهاً، ولا يمكن

أن يستشفع بغيره للقرب إليه كما قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في دعائه: «اللهم إني أتقرب إليك بذكرك واستشفع بك إلى نفسك الخ»^(١) ولا يمكن أن يعبد غيره بالكيفية الخاصة به، وعلى هذا كان دعوة النبي صلى الله عليه وآله لهم إلى معرفة حقيقة التوحيد الذاتي لا خصوص التوحيد بالعبادة، فانكروا عليه ذلك «وقالوا أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب»^(٢) وأيضاً قالوا: «أمشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق» بل كانوا شاكين في وجود الله الواحد حيث قالوا لصالح عليه السلام حين قال لهم: «يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره هو الذي أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها»^(٣): «يا صالح قد كنتَ فينا مرجواً قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا وإننا لفي شك مما تدعونا إليه مريب»^(٤) مضافاً إلى أن الحاق المستشفعين بالأنبياء والأولياء واللائذين بقبورهم بالمشركين في زمن النبي صلى الله عليه وآله لا دليل عليه حتى القياس الممنوع؛ لأنهم مع استشفاعهم بالأنبياء والأئمة عليهم السلام وقبورهم مقرّون

١- انظر دعاء كميل في مفاتيح الجنان.

٢- سورة ص: الآية ٥.

٣- سورة هود: الآية ٦١.

٤- سورة هود: الآية ٦٢.

بالتوحيد الذاتي والأوصافي والأفعالي والعبادي حتى أنهم حكموا
ببطلان عبادات المرائي كما أشرنا إليه آنفاً، فكيف يلحقونهم
بهؤلاء الثابت عليهم الخطأ والباطل في المقامات الأربعة المتقدمة،
وعدم اعتقادهم بالتوحيد في شيء من أقسام التوحيد.

وفي قوله: «أن رسول الله ﷺ قاتلهم لتكون الطاعة كلها لله،
والنذر كله لله، والذبح كله لله» إشارة إلى أن المشركين في زمانهم
ينذرون ويذبحون لغير الله، ويستشفعون بغيره، فيجب قتالهم كما
فعل النبي ﷺ ذلك بالمشركين في زمنه، لأجل فعلهم الأفعال
لغير الله، لكن ذلك - بالنسبة إلى من يعتقدونه^(١) مشركاً في
زمانهم - كذب واضح؛ إذ ليس أحد من المسلمين ينذر لغير الله أو
يذبح لغيره تعالى، مثلاً من أراد ولداً وطلبه من الله يقول: الله عليّ
صوم كذا أو صدقة كذا إن رزقني ولداً، وكذا يقولون: الله عليّ ذبح
شاة إن رزقت ولداً، والذبح في الحج والأضحية فمعلوم أنه لله، أما
نذر الذبح لحضرة العباس عليه السلام المتداول بين عوام الناس؛ فهو أيضاً
ذبح لله، وإن كان تعبيرهم قاصراً عن مقصودهم؛ فإن مقصود
الناذر كذلك النذر لله على أن يذبح ويتصدق به ليكون ثوابه
راجعاً إليه عليه السلام، فيكون هدية تهدي لكون قضاء حاجته بشفاعته

١ - في الأصل: يعتقدوه، والصحيح ما ذكرناه.

له عند الله في تلك الحاجة.

والحاصل أن كل المسلمين المستشفعين بالأنبياء والأولياء لا يقصدون بذلك كله إلا الله معتقداً كونهم واسطة لفيضه، [و] رابطة بين العبد وربّه بإذن من الله لهم في ذلك، قال الله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ يَسْبَحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾^(١) الخ المفسر على ما في تفسير الثعلبي بما رواه عن أبان بن تغلب عن بقيع بن حارث عن أنس بن مالك وبريدة عن النبي ﷺ أنه ﷺ سئل لما قرأ الآية: أي بيوت هذه البيوت؟ فقال: بيوت الأنبياء ﷺ فقام أبو بكر وقال: يا رسول الله ﷺ بيت علي ﷺ وفاطمة ﷺ منها؟ فقال: نعم من أفاضلها^(٢). وقوله ﷺ: «من أفاضلها» دالّ على ما حققناه في شرح [الـ] زيارة الجامعة من أن بيت النبوة هو بيت النبي ﷺ، وبيوت النبيّين من فروعه، وأفضليّة بيت علي ﷺ باعتبار كونه بيت النبي ﷺ كما تدل عليه آية المباهلة؛ حيث جعل ﷺ علياً ﷺ داخلاً في ﴿أَنْفُسَنَا﴾^(٣) ولذلك قلت في ذلك:

١- سورة النور: الآيتان ٣٦-٣٧.

٢- الدر المنثور للسيوطي في تفسير الآية ج ٥، ص ٩١، ط ١، بيروت.

٣- سورة آل عمران: الآية ٦١.

بيت آل المصطفى مُذ بدعا
 أذنَ الله له أن يُـرْفعا
 ليس رفعُ البيت من بنيانه
 هو شأنٌ من شؤون الرفعا
 رفعه من ذَكَرَ اسمَ الله فيه
 من رجالٍ خشعٍ والركعا
 ليس يلهمهم عن الذكر هوى
 نَفْسِهِم من تاجرٍ أو بَيِّعا
 من شؤون الذِّكرَ لَهُ أنْ يجعلوا
 ربَّ ذاك البيت عبداً شافعا

فقد تحقّق لك مما ذكرت أنّ المشركين لم يكونوا مقرّين بتوحيد
 الربوبية حتّى يدخلهم ذلك في الإسلام؛ لأنّ توحيد الربوبية لا
 يجتمع مع الشرك لسائر مقامات التوحيد، وعلمت أنّ أستشفاع
 المشركين بألهتهم غير قابل للقياس على أستشفاع المستشفعين
 بالأنبياء والأولياء عليهم السلام .

[في بيان معنى التوحيد]

ثم قال القائل: «هذا التوحيد هو معنى قولك: لا إله إلا الله؛
 فإنّ الإله عندهم هو الذي يقصد لأجل هذه الأمور، سواء كان

ملكاً أو نبياً أو ولياً أو شجرةً أو قبراً أو جنياً، لم يريدوا أن الإله هو الخالق الرزاق المدبر، فإنهم يعلمون أن ذلك الله وحده كما قدّمت لك، وإنما يعنون بالإله ما يعني المشركون في زماننا بلفظ السيد، فأتاهم النبي ﷺ يدعوهم إلى كلمة التوحيد؛ وهي لا إله إلا الله، والمراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد لفظها، والكفار الجهال يعلمون أن مراد النبي ﷺ بهذه الكلمة أفراد الله تعالى بالتعلق، والكفر بما يعبدون دونه، فإنه ﷺ لما قال لهم: قولوا لا إله إلا الله قالوا: «أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب»^(١).

أقول: خلاصة مرامه بما يظهر من ظاهر كلامه أن الكفار في زمن النبي ﷺ كانوا مقرّين بأن الخالق الرزاق المدبر هو الله وحده، وإنما كانوا يقصدون من الآلهة التي كانوا يعبدونها كائناً ما كان الأمور، ومعنى لا إله إلا الله الذي دعاهم ﷺ إليه هو ترك طلب هذه الأمور من هذه الآلهة وأمرهم بطلب كلّ شيء من الله الذي لا إله إلا هو، وهذا هو المراد من «لا إله إلا الله» وكلمة التوحيد.

لكن قد عرفت أن المشركين في زمن النبي ﷺ لم يكونوا موحدّين مع إقرارهم بأن الله تعالى هو خالق السماوات والأرض،

١ - سورة ص: الآية ٥.

وبيده كل شيء ﴿وَهُوَ يَجِيرُ وَ لَا يَجَارُ عَلَيْهِ﴾ وكانوا يقولون ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ وقوم صالح كانوا يقولون ﴿إِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ ولو كانوا موحدين لما تكلموا بهذا الكلام، ولا كانوا مريبين فيما يدعوههم إليه صالح.

وأما قوله: «إِنَّمَا يَعْنُونَ بِالْآلِهَةِ مَا يَعْنِي الْمُشْرِكُونَ فِي زَمَانِنَا بِلَفْظِ السَّيِّدِ» فكلام لا محصل له؛ فإن لفظ السَّيِّد عند المشركين في زمننا باعتقادهم عبارة عن شخص محترم ينزلوه منزلة مالك العبد في كونه تحت إطااعته، وإطلاق السَّيِّد على الله يراد به المالك الحقيقي لا المالك التنزيلي المستعمل في إطلاقه على الأنبياء والأولياء، والدليل على ذلك إطلاق سيِّد السادات على الله في المناجاة دون غيره تعالى، فيقال: السلام عليك ياسيدي يا رسول الله ﷺ ياسيدي يا أمير المؤمنين ﷺ ولا يقال: يا سيد السادات يا رسول الله ﷺ.

والحاصل أنَّ المستشفعين بالأنبياء والأولياء واللائذين بقبورهم القائلين بأنَّهم السَّيِّد لا يريدون به إله في مقابل الله تعالى كما كان ذلك حال المشركين في زمن رسول الله ﷺ ولذلك دعاهم تعالى إلى كلمة التوحيد التي هي لا إله إلا الله المراد بها معناها لا لفظها.

وقوله: «وَالْكَفَّارُ الْجَهَّالُ يَعْلَمُونَ أَنَّ مَرَادَ النَّبِيِّ ﷺ هُوَ أَفْرَادُ

الله تعالى بالتعلق والكفر بما يعبدون دونه»، معللاً بقولهم: «أجعل الآلهة إلهاً واحداً» لا يستحقون الطعن عليهم فيما فهموا من قوله ﷺ؛ فإن استفادتهم هذا المعنى من قوله ﷺ: «قولوا إلا إله إلا الله» استفادة حسنة جداً، وعدم قبولهم هذا المعنى بدليل قولهم: «أجعل الآلهة إلهاً واحداً» دليل على شركهم الذي أوجب حلّة قتلهم ونهبهم، ونسبة الجهل إلى المسلمين - لهذا المعنى الذي عرفه الكفار الجهال وأعتقادهم كون المراد منه التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب بشيء من معناها - نسبة كذب وفساد، وقولهم باستحقاق الثواب بالتلفظ بها أمر خارج عن لزوم الاعتقاد بمعناها الذي هو التوحيد في تمام المقامات المذكورة.

وكذا قوله: «والحاذق منهم يظن معناها لا يخلق ولا يرزق ولا يدبر الأمر إلا الله» كذب وفساد؛ إذ الحذاق منهم يقول: لا مؤثر في الوجود إلا الله بل يقول: كان الله ولم يكن معه شيء، والعارف به لا يرى غير الله تعالى ويقول: هو الآن كما كان.

ومما ذكرنا من مجموع ما تقدم علمت أن القائل لهذه الكلمات جعل الموحّد الحقيقيّ مشركاً والشرك الحقيقيّ توحيداً لزعمه بأن قول عابدي الأصنام: الله خالق السماوات والأرض مع قولهم: هؤلاء شفعاؤنا عند الله يجعلهم موحّدين^(١)، وكونهم مشركين

١ - في الأصل: موحّد، والصحيح ما ذكرنا.

باعتبار جعلهم الأصنام شفعاء ، وفساده ظاهر ؛ فهو إمّا جاهل
قاصر أو عدوّ قاهر ﴿وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب
ينقلبون﴾^(١).

قُلْ لِمَنْ كَفَرَ مِنْ فَقْدِ الْبَصَرِ	مسلماً أسلمه خير البشر
سَأْرَاكَ فِي غَدٍ مُرْتَعِشاً	قايلاً مِنْ فزع: أين المفر؟
وترى ذاك الذي كفرته	في نعيم مستمر مستقر
قائلاً يا أحمقاً كفرتني	ذُقْ هنيئاً لك ذا مَسٍّ سَقَر

[فوائد معرفة معنى التوحيد]

ثم قال: «إذا عرفت ما ذكرت لك معرفة قلب، وعرفت
الشرك الذي قال الله فيه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا
دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^(٢) وعرفت دين الله الذي أرسل به الرسل
من أولهم إلى آخرهم، الذي لا يقبل من أحد سواه، وعرفت ما
احتج غالب الناس فيه من الجهل بهذا، أفادك فائدتين:

الأولى: الفرح بفضل الله ورحمته كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ
بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾^(٣).

١- سورة الشعراء: الآية ٢٢٧.

٢- سورة النساء: الآية ١١٦.

٣- سورة الأعراف: الآية ١٣٨.

وأفادك أيضاً الخوف العظيم ؛ فإنك إذا عرفت أن الإنسان يكفر بكلمة يخرجها من لسانه ، وقد يقولها وهو جاهل فلا يعذر بالجهل ، وقد يقولها ويظن أنها تقربه إلى الله تعالى كما ظن الكفار ، خصوصاً أن ألهمك الله ما قص عن قوم موسى - مع صلاحهم وعلمهم - أنهم أتوه قائلين : «اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة»^(١) وحينئذ يعظم خوفك وحرصك على ما يخلصك من هذا وأمثاله انتهى .

أقول : وخلاصة مرامه - مع طول كلامه - أنك إذا عرفت بالتصديق القلبي أن الشرك هو العبادة لغير الله ، وعرفت أن الدين هو العبادة الخالصة له تعالى ، واجتنبت الشرك الذي هو ذنب لا يغفر ، صرت ممن يفرح بفضل الله ورحمته ؛ حيث جعلت عبادتك خالصة لله ولم تشرك أحداً معه تعالى فيها ، وصرت متديناً بدين أرسل به الرسل ، ويحصل لك خوف من أن تنطق بكلام يوجب الكفر جهلاً أو ظناً بكونه مقرباً إلى الله تعالى كما يفعله الكفار هذا حاصل مرامه .

لكنك عرفت مما قدمنا فساد كلامه ؛ فإن الشرك الثابت لعبدة الأصنام لم يكن شركاً في العبادة بل كانوا مشركين بتمام مقامات

١ - سورة يونس : الآية ٥٨ .

التوحيد، بل ما استدل به من آية ﴿أَجْعَل لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ دليل على التزامهم بإمكان تعدد الآلهة بل وقوعه، وعلمت عدم شباهة ما عليه المستشفعون بالأنبياء والإولياء واللائذون بقبورهم للاستشفاع الذي كان يقول به عبدة الأصنام بقولهم: ﴿هُؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾^(١) وعرفت أن الدين الذي أتى به الرسول ﷺ هو الاعتقاد بالتوحيد، وحقيقة معنى لا إله إلا الله الغير الحاصل إلا باعتقاد التوحيد في المقامات الأربع، وعرفت أن التوحيد ليس عبارة عن التلّفظ بلا إله إلا الله، ولا يراد منه أنه لا يخلق ولا يرزق ولا يدبر الأمر إلا الله.

ثم إن الفرح ليس فائدة لما قاله القائل؛ من حيث إن المعرفة والاعتقاد القلبي، بمقالاته حاصل له بفضل الله ورحمته، فإن ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾^(٢) حيث يزعمون أن ما^(٣) عندهم بفضل الله ورحمته، وكذلك الخوف حاصل لكل من لا يعلم عاقبة أمره حتى أن يوسف عليه السلام يقول: ﴿تَوَقَّني مسلماً وألحقني بالصالحين﴾^(٤) هذا مع أن الكلمة الصادرة الموجهة للكفر جهلاً

١- سورة يونس: الآية ١٨.

٢- سورة المؤمنون الآية ٥٣ والروم: ٣٢.

٣- في الأصل: ممّا، والصحيح ما ذكرناه.

٤- سورة آل عمران: الآية ٦٧.

غير قابلة للخوف منها فضلاً عن الكلمة التي يظن كونها مقرّبة، والاستشهاد بكلام قوم موسى - حيث قالوا: ﴿اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة﴾ - في غير محله؛ فإنه لم يصدر عنهم ذلك تعنتاً، بل زعماً منهم أنّ ذلك طريق مرضي، والذم المترتب على طلبهم إنّما هو على التقليد في الاعتقاد مع كونهم في سبيل الانقياد.

وبعبارة أخرى توبيخهم إنّما هو على التكلّم بغير تأمل في حسنه وقبحه، على كونهم وصيرورتهم كفّاراً بذلك، بمعنى أنّهم كانوا مع إسلامهم وإيمانهم ملومين؛ لتكلّمهم بكلام لا ينبغي أن يصدر عن مثلهم، بسبب عدم التأمل في حسنه وقبحه، وهذا واضح لمن له أدنى إدراك ينجيّه من الهلاك.

كُلَّمَا قُلْتَ بَزَعْمٍ فَاسِدٍ باطلٌ نَسْمَعُهُ مِنْ حَاسِدٍ
تَرَكَ الرُّشْدَ وَأَمْرًا رَابِحًا صارَ فَرَحَانًا بِشُغْلٍ كَاسِدٍ
نَسْتَعِيزُ بِالْإِلَهِ الْأَحَدِ مِنْ ذَعِينِ بِلِسَانٍ جَاوِدٍ

[في وجوب التسلح بالعلم لمواجهة أعداء الله]

ثم قال القائل: «واعلم أنّ الله تعالى لم يبعث من حكمته نبياً بهذا التوحيد إلّا جعل له أعداء كما قال تعالى: ﴿وكذلك جعلنا لكل نبيّ عدوّاً شياطين الإنس والجنّ يوحي بعضهم إلى بعض

زخرف القول غُرُوراً^(١) وقد يكون لأعداء الدّين علوم كثيرة
وكتب وحجج كما قال تعالى: ﴿فلما جاءتهم رسلهم بالبينات
فرحوا بما عندهم من العلم﴾^(٢).

إذا عرفت ذلك وعرفت أنّ الطريق إلى الله لا بدّ له من أعداء
قاعدين عليه أهل فصاحة وعلم وحجج، فالواجب عليك أن
تعلم من دين الله ما يصير سلاحاً لك تقاتل به هؤلاء الشياطين
الذين قال: إمامهم ومقدّمهم لرّبك: ﴿لأقعدن لهم صراطك
المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم و من خلفهم وعن أيمنهم
وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين﴾^(٣) ولكنك إن أقبلت
على الله وأصغيت إلى حجج الله وبيّناته فلا تخف ولا تحزن ﴿إنّ
كيد الشيطان كان ضعيفاً﴾^(٤) والعامي من الموحّدين يغلب
ألفاً من علماء هؤلاء المشركين كما قال الله تعالى: ﴿وإنّ جنودنا
لهم الغالبون﴾^(٥) فجند الله هم الغالبون بالحجة واللسان كما هم
الغالبون بالسيف والسنان، وإنّما الخوف على الموحّد الذي

١- سورة الانعام: الآية ١١٢.

٢- سورة غافر: الآية ٨٣.

٣- سورة الاعراف: الآية ١٦.

٤- سورة النساء: الآية ٧٦.

٥- سورة الصافات: الآية ١٧٣.

يسلك الطريق وليس معه سلاح ، وقد من الله تعالى علينا بكتابه الذي جعله : ﴿تبييناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين﴾^(١) فلا يأتي صاحب باطل بحجة إلا وفي القرآن ما يناقضها وبيان بطلانها كما قال الله تعالى: ﴿ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً﴾^(٢) قال بعض المفسرين : هذه الآية عامة في كل حجة يأتي بها أهل الباطل إلى يوم القيامة ، وأنا أذكر لك أشياء مما ذكر الله في كتابه جواباً لكلام احتج به المشركون في زماننا علينا انتهى .

وحاصل مراده - مع طول كلامه - أن الأنبياء السالكين سبيل التوحيد سلكوا طريق الحق ، وكان لهم أعداء علماء ؛ وعندهم حجج وبيانات على ما عندهم ، وكانوا مغلوبين للأنبياء بحججهم الحقّة وبيّناتهم الدافعة لحججهم ، وكانوا غالبين عليهم بالحجج ؛ لكونهم جند الله ، فكذاك كل من يكون موحداً يسلك سبيل الحق له أعداء من هؤلاء المشركين في زماننا وعندهم حجج يبطلها ما في كتاب الله لكونه تبياناً لإبطال كل باطل من الحجج ، ونذكر من الكتاب ما أجاب الله تعالى من حجج المشركين في زماننا بعد ذكر حججهم .
هذا خلاصة مراده ، وهو كلام حق يريد به الباطل كما سنبينه

١ - سورة النحل : الآية ٨٩ .

٢ - سورة الفرقان : الآية ٣٣ .

ونوضحه إن شاء تعالى .

بيان ذلك أن حجج الأنبياء على أعدائهم غير قابل للتشكيك والشبهة إلا بلجاج وعناد، وتسمية المعجزات سحراً تعمداً وتعنتاً، وليس الأمر في كل من يدعي سلوك طريق الحق مستدلاً بما يقطع بطلانه العقلاء المتفطنون كذلك، بل كل مدّع بالنظر الدقيق الخالي من اللجاج والعناد موقن بحقيقة معتقده ودلالة دليله عليه، ويدّعي الغلبة على خصمه يزعم كونه من جند الله .
نعم يوجد بين المجادلين من يوقن بالحق قلباً ويمجده لساناً لأغراض متوقفة على سلوك هذا المسلك، وإلى طائفة منهم يشير قوله تعالى: ﴿وَجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً فانظر كيف كان عاقبة المفسدين﴾^(١) وكما يرى مَن يتمسك في حلية النهب بأن الغزو كسب النبي ﷺ متمسكاً بحلية الغنائم المأخوذة من دار الحرب، ولا يصغون إلى كلام من يقول بحرمة ذلك إلا بشروط معينة في باب الجهاد، ولا يقبلون حججهم باللسان مع كونهم مذعنين بذلك بالقلب والجنان حرصاً منهم على النهب، وشوقاً لهم منهم إلى الغصب في أخذ أموال الناس بالاختلاس، ويزيد ذلك وضوحاً ما نذكر في الجواب عن حجج المشركين في زمانهم إن شاء الله تعالى .

١ - سورة النمل: الآية ١٤ .

[في كيفية جواب أهل الباطل]

ثم قال القائل: «فنقول جواب أهل الباطل من طريقين: مجمل ومفصل؛ أما المجمل فهو الأمر العظيم والفائدة الكبيرة لمن عقلها، وذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾^(١) الآية وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سَمَّى الله فاحذروهم»^(٢) مثال ذلك إذا قال لك بعض المشركين: «ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون»^(٣) وإن الشفاعة حق وإن الأنبياء عليهم السلام لهم جاه عند الله، أو ذكر كلاماً للنبي ﷺ يستدل به على شيء من باطله وأنت لا تفهم معنى الكلام الذي ذكره، فجاوبه بأن الله تعالى قال: إن الذين في قلوبهم زيغ يتركون المحكم ويتبعون المتشابه وما ذكرته لك من أن الله ذكر أن المشركين مقرّون بالربوبية، وأن^(٤)

١- سورة آل عمران: الآية ٧.

٢- كنز العمال ١: ١٩٣.

٣- سورة يونس: الآية ٦٢.

٤- في الأصل: وأنه.

كفرهم يتعلق على الملائكة والأنبياء والأولياء، مع قولهم: ﴿هُؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ هذا أمر محكم بين لا يقدر أحد أن يغير معناه، وما ذكرته لي أيها المشرك من القرآن أو كلام النبي ﷺ لا أعرف معناه، ولكن أقطع بأن كلام الله تعالى لا يتناقض، وأن كلام النبي ﷺ لا يخالف كلام الله. وهذا جواب جيد سديد، لكن لا يفهمه إلا من وفقه الله تعالى، فلا تستهون به فإنه كما قال الله ﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ﴾^(١) انتهى.

وخلاصة مرامه - على طول كلامه - أن الإقرار بالربوبية من مشركي زمان رسول الله ﷺ مع قتال النبي ﷺ معهم لكونهم مشركين صريح في أن الشرك فيهم إنما كان لقولهم: ﴿هُؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ وتناقضه الآية فيكون متشابهاً، فالمستدل بالآية للاستشفاع بالأولياء متبع للمتشابه، فيجب الحذر منه لزيغ في قلبه، وبالآخرة يرجع حاصل كلامه إلى تعليم من يتبع كلامه بإنكار كل دليل يقال على خلاف ما فهمه من الآيات الدالة على إقرار المشركين بالربوبية، وقولهم: ﴿هُؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ بعنوان أنه من المتشابه في مقابل تلك الآيات.

١ - سورة فصلت: الآية ٣٥.

لكنك بأدنى تأمل فيما تلونا عليك سابقاً تطلع على فساد هذه الكلمات من جهات شتى.

الأولى: أن الإقرار بالربوبية لا ينافيه الشرك، ولا يستلزم التوحيد الحقيقي الذي هو مدلول لا إله إلا الله بالنسبة إلى توحيد الذات وتوحيد الأفعال الدالّ عليه قوله تعالى: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم^(١) والتوحيد في الصفات المستفاد من قوله تعالى ﴿ليس كمثله شيء﴾ والتوحيد في العبادة المستفاد من قوله تعالى: ﴿ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾^(٢).

الثانية: كيفية أعمال هؤلاء المشركين بالنسبة إلى الأصنام فإنهم كانوا يعملون لهم ما يختص بالله تعالى المستفاد من قوله تعالى: ﴿لا تسجدوا للشمس ولا للقمر﴾^(٣) الخ.

الثالثة: كيفية استشفاعهم؛ حيث كانوا يقولون: عبادتنا هذه للأصنام موجبة^(٤) لحصول قربنا من الله خالق السماوات والأرض، وهذا خارج عن استشفاع المستشفعين بالأنبياء والأولياء ولا مناسبة بينهما.

١- الآية هكذا: ﴿لا قوة إلا بالله﴾ سورة الكهف: الآية ٣٩، وما ذكر المؤلف سهو منه.

٢- سورة البينة: الآية ٥ وفي الأصل: فاعبدوا والصحيح ما أثبتناه.

٣- سورة فصلت: الآية ٣٧.

٤- في الأصل: موجب والصحيح ما ذكرناه.

الرابعة: من حيث الإذن في الاستشفاع؛ فإن الاستشفاع بالأصنام أو الملائكة المعبودة أو النبي المعبود غير مأذون فيه، بخلاف الاستشفاع بالأنبياء والأولياء؛ فإنه مأذون فيه.

الخامسة: من حيث الاشتراك في الاسم؛ إنهم كانوا يسمّون الأصنام المقول فيها «هؤلاء شفعاؤنا» آلهة فقال الله تعالى: «إله مع الله تعالى الله عما يشركون»^(١) وهذه المقالة عند المستشفعين بالأنبياء والأولياء كفر لا يستر، وذنب لا يغفر، فالقياس مع بطلانه من أصله ليس له جامع، ووجود الفرق عنه مانع.

إيقاظ وتبصرة:

قد أعمل هذا القائل الشيطنة والتقلب إغفالاً للمراجع إلى كلامه؛ حيث أسقط تنمّة الآية، وذكر الآية إلى حدّ قوله تعالى: «وما يعلم تأويله إلا الله»^(٢) وترك قوله تعالى: «والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الأبواب» لئلا يتوجّه إليه سؤال إلزامي وهو السؤال عن معنى «الراسخون في العلم»، وأنه من المراد منهم، والقول بأنّه كلام مستأنف وليس عطفاً على الله حتّى يكون المراد أن: «الراسخون

١ - سورة النمل: الآية ٦٣. وفي الأصل: «آلهة» والصحيح ما ذكرنا.

٢ - سورة آل عمران: الآية ٧.

في العلم يعلمون تأويله، بل هو كلام مستأنف، والمراد منه أن العلماء الذين لا يعلمون التأويل «يقولون كل من عند ربنا» باطل^(١) جداً؛ فإن استيناف الكلام مقتضى لانحصار العلم بالتأويل في الله تبارك وتعالى، كما قصد القائل بترك تنمة الآية إيهام الانحصار غافلاً عن ورود الاعتراض على الله بذلك بأن يقال: الكلام المتشابه الذي لا يعلم معناه إلا المتكلم يكون صدوره منه وتكلمه به لغواً، وإنما يخرج عن اللغوية وجود من يعلم تأويله ومعناه غير المتكلم، وحينئذ يسأل عن القائل إن «الراسخون في العلم» العالمون بتأويله إذا ذكره وثبت عندنا المراد منه هل يدخل حينئذ في المحكم أو لا؟ فإن قال: نعم يدخل في المحكم قلنا فالمتبع للمتشابهات بعد العلم بمفاده وتأويله من بيان الراسخين في العلم ليس ممن يكون في قلبه زيغ، وإن قال: لا يدخل في المحكم، قلنا فما ثمة البيان الصادر من الراسخين في العلم؟ فإن رجع القول بانحصار العلم بتأويله في الله تبارك وتعالى عاد الاعتراض بكون التكلم بما لا يعلمه أحد لغواً وقبيحاً لا يصدر عن أدنى متكلم فضلاً عن الحكيم تعالى، وإذا ثبت كون بيان الراسخين في العلم مخرجاً للكلام عن كونه متشابهاً، وصار

١ - هذا خبر لقوله: «والقول».

بذلك داخلاً في المحكم فنقول: إنَّ الفرد الظاهر المنصرف إليه لفظ «الراسخون في العلم» هم الأنبياء والأولياء، أعني أوصياءهم المتعلمين منهم، الحائزين لعلومهم، فيجب على كلِّ مسلم سؤاَلهم عن تأويل المتشابهات، والأخذ بمقالتهم، فرمما يختلط الأمر على العامي فيزعم المحكم متشابهاً كما مثَّل القائل المتشابه بقوله تعالى: «أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ»^(١).

إلى أن قال: «وأنت لا تفهم معنى الكلام الذي ذكره، فجأوبه بقولك إنَّ الله تعالى ذكر في كتابه أنَّ الذين في قلوبهم زيغ يتركون المحكم ويتبعون المتشابه الخ» وحينئذٍ بعد السؤاَل من الراسخين يعلم كونه محكماً أو متشابهاً، وعلى تقدير كونه متشابهاً يعلم تأويله ومعناه ببيانهِ، ويدخل حينئذٍ في المحكم، فينحصر اتِّباع المتشابه بمن لا يسأل من الراسخين في العلم، ويأوّل على مقتضى مرامه، ومراده ابتغاء الفتنة.

ثم إنَّ قول القائل: «وأنت لا تفهم معنى الكلام الذي ذكره فجأوبه الخ» مغالطة وإغفال وتعليم للتجاهل والاضلال؛ فإنَّ كلَّ من عرف لغة العرب علم الموضوع له الألفاظ من كلمة «ألا» التنبيه ولفظ «الأولياء» الذي هو جمع الوليِّ و«لا» النافية و

١ - سورة يونس: الآية ٦٢.

«الخوف» و «الحزن» وفهم المراد من هذه الجملة المتكررة في القرآن في موارد كثيرة منها قوله تعالى ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(١) أي من أتبع رسلي الهادين للناس إلى ﴿فلا خوف﴾ عليه من العقبات الموحشة ﴿ولا هم يحزنون﴾ من البليّات والمكاره المتوجّهة؛ لعلمهم بأن الله تعالى لا يعذب المهتدين الذين هم أولياؤه وأحبّاءه.

ومنها قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٢) فجعل الإيمان بالنبي ﷺ وكذلك المؤمنين بالله والقيامة من الطوائف المذكورة، ومأجورين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

ومنها قوله تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٣) فجعل التوجّه إلى الله مسلماً مع العمل الحسن مناطاً لعدم الخوف والحزن. ومنها قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبَعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنّاً وَلَا أَذَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ

١- سورة البقرة: الآية ٣٨.

٢- سورة البقرة: الآية ٦٢.

٣- سورة البقرة: الآية ١١٢.

عَلَيْهِمْ وَ لَا هُمْ يَخْزَنُونَ^(١)

ومنها قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَخْزَنُونَ﴾^(٢) إلى غير ذلك مما لا نحتاج إلى ذكره بتمامه.

والحاصل أن عدم فهم معنى آية ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَخْزَنُونَ﴾^(٣) للعارف بلغة العرب شيء لا يساعد عليه وجدان أحد، وعد ذلك من المتشابه لا يصدر إلا من معاند الدِّكَا أن جعل الإقرار بالربوبية دليلاً على كون الشِّرك جعلهم الآلهة شفعاء عند الله، وقياس المستشفعين بالأنبياء والأولياء عليهم بجامع الاستشفاع أمر لا يساعد عليه عاقل واحد سوى اللُّجوج المعاند، وقد سبق منا عدم الجامع للقياس وعدم المناقاة بين الإقرار بالربوبية ونقصان التوحيد، وسنزيدك وضوحاً فيما يأتي إن شاء الله تعالى.

وأما عدم فهم كلام من يقول بالشفاعة وأن الأنبياء لهم جاه عند الله بجعله من المتشابهات - فمن أعجب العجائب؛ لأن عدم فهم حقي[ة] الشِّفاعة إن كان لأجل عدم إمكان الإذن فيها، فقول

١ - سورة البقرة: الآية ٢٦٢.

٢ - سورة البقرة: الآية ٢٧٤.

٣ - سورة يونس: الآية ٦٣.

الله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾^(١) صريح في إمكانه ووقوعه، وإن كان لأجل كونها دعوة وتوجّهاً إلى غير الحق، فمع فرض الإذن فيها يخرج عن كونها دعوة وتوجّهاً غير مأذون فيه، وإن كان لأجل عدم وجاهة الأنبياء والأولياء عليهم السلام عند الله فهو انكار للبديهي؛ فإنّ وجاهتهم هي التي صارت سبباً لنبوّتهم وولايتهم، ولولا تلك الوجاهة المعبر عنها بالقرب إلى الله لكان تقدّمهم على غيرهم ترجيحاً بلا مرجّح، والأدلة على وجود تلك الوجاهة كثيرة مذكورة في علمي الحكمة والكلام، وقد ذكرنا بعض الكلام في ذلك في شرح [الـ] زيارة الجامعة عند قول الإمام عليه السلام: «يا أهل بيت النبوة»^(٢) ومن أراد الاطلاع على التفصيل فليرجع إليه وإلى غيره من مظانه.

قل لمن يظهر ديناً مؤمناً ما سوى ذلك شركاً بينا
أيقن الشيطان في استدلاله جاوب الحق جواباً متقنا
صار مردوداً بما قد قاله عساند الله عناداً معلنا
همم بالإضلال والإغواء من كان في طوع الهوى مرتها
فتلخص ممّا ذكرنا وتبين لك أنّ هذا القائل منكر للشفاعة التي

١- سورة البقرة: الآية ٢٥٥.

٢- راجع الزيارة الجامعة في مفاتيح الجنان للشيخ عباس القمي (ره).

هي من واضحات الدّين ومصرحات الفرقان المبين آيات عديدة،
ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ
خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾^(١) ومنها قوله تعالى: ﴿لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ
إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾^(٢) الخ وأمثال ذلك.

وظهر لك أنّه هو الجاحد لما نطق به التنزيل العظيم، وحكم به
ضرويّ دين النبيّ الكريم ﷺ وأنّ الكفر والشرك مردود إليه دون
من نسب ذلك إليه من المسلمين والمؤمنين الموحّدين، نعم ذلك
عاقبة من ترك أحد الثّقلين، وأستغنى وأغترّ بفهمه عن الرجوع
والأخذ بشانّي الوديعتين اللّتين أودعهما النبيّ ﷺ أمّته في الروايات
الصحيحة المقبولة عند الطّرفين بقوله ﷺ: «إني تارك فيكم
الثقلين كتاب الله وعترتي» ثمّ إنّ ﷺ لم يكتف في الحكم بلزوم
الجمع بينهما بحرف الواو الذي هو للجمع، بل أكّد ذلك بعد ضم
إصبعيه بقوله ﷺ: «لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض»^(٣) مع
التعبير بكلمة «لن» الّتي هي لنفي الأبد دون كلمة «لا» قال الله
تبارك وتعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ أُسَاءُوا السُّوْءَىٰ أَنْ كَذَبُوا

١- سورة الأنبياء: الآية ٢٨.

٢- سورة سبأ: الآية ٢٣ وفي الأصل حذفّت كلمة «عنده» وزيدت الواو قبل: لا تنفع.

٣- راجع الحديث في مسند أحمد ٣: ١٤.

بآيات الله وكانوا بها يستهزئون»^(١).

[الجواب المفصل على أهل الباطل]

ثم قال «أما الجواب المفصل فإن أعداءك لهم اعتراضات كثيرة يصدّون بها الناس منها قولهم: نحن لا نشرك بالله شيئاً، بل نشهد أنه لا يخلق ولا يرزق ولا يحيي ولا يميت ولا يدبر الأمر ولا ينفع ولا يضر إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً ﷺ لا يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً فضلاً عن عبد القادر وغيره، لكن أنا مذهب والصالحون لهم جاء عند الله وأطلب بهم، فجأوبه بما تقدّم؛ وهو أن الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مقرّون بما ذكرت ومقرّون بأن أوثانهم لا تدبر شيئاً، وإنما أرادوا بما قصدوا الجاه والشفاعة، وأقرأ عليه ما ذكره الله وفهمه في كتابه ووضّحه». انتهى.

يعني به الآيات التي دلت على الإقرار بأن الله خالق السماوات والأرض، وبعبده كل شيء.

ثم قال: «فإن قال هؤلاء: الآيات نزلت فيمن يعبد الأوثان كيف تجعلون الصالحين مثل الأصنام، أم كيف تجعلون الأنبياء أصناماً؟ فجأوبه بما تقدّم، فإنه إذا أقرّ بأن الكفار يشهدون بالربوبية كلّها لله وأنهم ما أرادوا بمن قصدوا إلا الشفاعة، ولئن

١ - سورة الروم: الآية ١٠، وفي الأصل يجحدون والصحيح ما أثبتناه.

أراد أن يفرّق بين فعلهم وفعله بما ذكر فاذا ذكر له أن الكفار منهم من يدعو الصالحين والأصنام، ومنهم من يدعو الأولياء الذين قال الله فيهم: ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربّهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون﴾ من الله ﴿رحمته ويخافون عذابه﴾^(١) الآية ويدعون عيسى بن مريم عليه السلام وأمه وقد قال الله تعالى: ﴿ما المسيح بن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون﴾^(٢) واذكر قوله تعالى: ﴿ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك﴾^(٣) الآية وقوله تعالى: ﴿واذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله﴾^(٤) الآية فقل له: عرفت أن الله كفر من عبد الأصنام وكفر أيضاً من عبد الصالحين وقاتلهم رسول الله ﷺ، فإن قال: الكفار يريدون منهم وأنا أشهد أن الله هو النافع الضار الذي لا أريد إلا منه، والصالحون ليس من الأمر شيء ولكن أقصدهم أرجو من الله

١- سورة الإسراء: الآية ٥٧.

٢- سورة المائدة الآية ٧٥.

٣- سورة الأنعام: الآية ٢٢.

٤- سورة المائدة: الآية ١١٦. وحذفت عبارة (ابن مريم) من الأصل.

شفاعتهم .

فالجواب أن هذا قول الكفار سواء بسواء ؛ فاقراً عليه قول الله تعالى : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ ^(١) ويقولون : ﴿ هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾ .

واعلم أن هذه الشبه الثلاث هي أكبر ما عندهم ، فإذا عرفت أن الله وضحها في كتابه وفهمتها فهماً جيداً فما بعدها أيسر منها انتهى موضع الحاجة .

وخلاصة مرامه أن المشركين في زماننا أكبر حججهم على صحة عملهم أمور ثلاثة وقد أجاب الله تعالى عنها كلها في كتابه : الحجة الأولى : قولهم : إنا لسنا مشركين بالله ، بل نحن نقول ونعلم أن كل الأمور المذكورة بيد الله وحده لا شريك له ، ونقول : إن محمداً ﷺ عبده لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرراً ، وإذا كان هو ﷺ كذلك فغيره من الأنبياء والأولياء بطريق أولى لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرراً ولكن لوجاهة له وهم عند الله أطلب غفران ذنوبي بهم من الله ، وليس هذا بشرك ، وإن ما عليه عبدة الأصنام هو شرك .

الثانية : أن في الاستدلال بالآيات الدالة على إقرار المشركين بالربوبية تشبيه الأنبياء والصالحاء بالأصنام وهو مناف

١ - سورة الزمر : الآية ٣ .

لمقاماتهم العالية .

الثالثة : أنَّ عبدة الأصنام كانوا يريدون الأمور من الأصنام ، ونحن نريدها من الله لا من الأنبياء والصالحين ، بل نرجو من الله قبول شفاعتهم إذا شفّعونا .

وحاصل جواب القائل عن الحجّة الأولى أنَّ الآيات الدالة على إقرار عبدة الأصنام بالربوبية تعيّن وتوجب^(١) انحصار جهة شركهم في جعلهم شفّعاء ، والمشركون في زماننا أيضاً مقرّون بالربوبية ويجعلون الأنبياء والصّالحاء شفّعاء فيتساوون في الاعتقاد والعمل ، ويشتركون في كونهم شركين ، وأنت - بعدما أحطت خبراً بما قدّمته لك من أنَّ خطأ عبدة الأصنام لم ينحصر في الاستشفاع الغير المأذون فيه من قبل الله تعالى ، بل من جهات عديدة وخطايا شديدة - عرفت أنَّ الجواب مغلطة غير سديدة ونزيدك وضوحاً بأن نقول عبدة الأصنام لم يؤمنوا بالنبي ﷺ وإلاّ لقبّلوا قوله ﷺ في التوحيد ، ولم يقاتلهم النبي ﷺ على الشّرك ، والمستشفعون بالأنبياء إنّما يستشفعون بهم بعد الإيمان بهم واعتقاد وجاهتهم عند الله لنبوّتهم المقتضية لذلك ، فالقياس فاسد والتشريك في العمل والاعتقاد لا يجده ولا يقول به إلاّ المعاند .

١ - في الأصل : يعين ، ويوجب ، والصحيح ما أثبتناه .

وحاصل جواب القائل عن الحجّة الثانية : أنّ الآيات دالّة على إقرار عبدة الأصنام بالربوبية لله وحده، فلا يقدر العدو أن ينكر كون شركهم باعتبار قصدهم الشفاعة لكن يفرّق بين عملهم وعمله ؛ حيث إنهم يقصدون نفس الأصنام والمستشفعين بالأنبياء الشفاعة ، فالفرق في العمل .

والجواب عن الفرق بأنّ عبدة الأصنام لم يكونوا مستشفعين بها فقط ، بل كانوا يدعون الملائكة وعيسى بن مريم عليه السلام ، فلم يصح التشبيه للأنبياء بالأصنام .

لكنك بعد ما ذكرنا سابقاً وأنفاً تقدر على معرفة بطلان هذا الجواب ، وتوضيحه - مزيداً للمعرفة - بأننا نقول إنّ المستشفعين بالأنبياء لا يعبدون إلّا الله ، ولا يسمّون غير الله إلهاً ، ولا يرجون غير الله تعالى ، فلا يقاسون بعبدة الأصنام وإن كانوا عابدين للصالحين مع الأصنام ، وكذلك الذين يعبدون الأولياء ، وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز حين توجّه القحط إلى قريش ^(١) العابدين للأصنام والملائكة أو الجنّ أو عيسى بن مريم عليه السلام : ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ ^(٢) لكونهم بأنفسهم يبتغون لهم الوسيلة إلى ربّهم أيهم

١ - في «س» و «ن» : القريش ، والصواب ما ذكرناه .

٢ - سورة الإسراء : الآية : ٥٦ .

أقرب ويرجون - مع كونهم معبودين لكم - رحمة ربهم، ويخافون عذابه ووبخهم على عبادة من لا يصلح للدعوة؛ لعدم كونه قادراً على شيء.

وتحصل من هذا الكلام أنهم غير لا ثقين للمعبودية، فالمحذور هو جعلهم معبودين، مع كونهم باغين الوسيلة إلى رحمة ربهم لا يجعل عبدتهم إياهم شفعاء، فتشبيه الأنبياء بالملائكة أو الجن أو عيسى بن مريم عليه السلام عند عبدتهم، وقياس المستشفعين بالأنبياء لوجاهتهم على أولئك مع كون المذكورين معبوداً لهم - غلط واضح وقياس غير صالح؛ إذ الاستشفاع بصالح لم يجعله معبوداً لا قصداً ولا جوارحاً غير الاستشفاع بمن يعبد قصداً وجوارحاً، وبتعبير أوضح وبيان أفصح: إذا فرضنا المقرين بالربوبية الذين كانوا يستشفعون بالأصنام موحدين ^(١) ذاتاً ومشركين ^(٢) لأجل الاستشفاع بالأصنام أو الصالحين إنما يصح قياس المشركين في زمانهم على المشركين في زمن النبي صلى الله عليه وسلم إذا كانوا موافقين لهم في الاعتقاد والعمل، وليس الأمر كذلك؛ فإنهم جعلوا المستشفعين بهم معبودين لهم قصداً وجوارحاً، وهذا بخلاف المستشفعين بالأنبياء والأولياء الغير الجاعلين لهم معبوداً لا قصداً ولا

١ - في الأصل: موحداً والصواب ما ذكرناه.

٢ - في الأصل: مشركاً والصواب ما ذكرناه.

جوارحاً، فالقياس غير لائق، لكونه مع الفارق.

وحاصل جواب القائل عن الحجّة الثالثة بقوله: «هذا قول الكفار سواء بسواء فاقراً عليه قوله تعالى: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ وقولهم ﴿هُؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ إِنَّ عبدة الأوثان أو الصالحين كانوا معتذرين في عبادتهم لها بكونها شفعاء لهم وهو عين الحجّة الثالثة.

لكنك بعد التأمل فيما تلونا عليك سابقاً وأنفاً تعرف أن هذا الجواب من قبيل المصادرة على المطلوب؛ لأن أصل الدّعى كون كلام المستشفعين بالأنبياء والأولياء عليهم السلام مطابقاً لكلام المشركين العابدين للأصنام، فالجواب بأن هذا كلام الكفار سواء بسواء جواب نفس الدّعى، وتعقيبه بقوله: وأقرأ عليه قوله تعالى: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا﴾ الخ غير...^(١) به لعدم دلالة الآية على التسوية، فإنّ اعتذار الكفار إنّما هو اعتذار عن عبادتهم إياها بالاستشفاع وأمّا المستشفعون بالأنبياء والأولياء فلا^(٢) يعتذرون عن شيء، ولا مقام ولا وجه لاعتذارهم، فإنهم لم يفعلوا قبيحاً باستشفاعهم، وأنهم يرونه حسناً، ويعلّلون حسنه بوجاهة الأنبياء والأولياء عند الله بحكم الوجدان في استشفاع كلّ مقصر

١ - غير واضح في الأصل.

٢ - في الأصل لا، والانصب ما ذكرنا.

بالموجهين عند مولاه، وهذا غير الاعتذار عن العبادة فليس الكلامان^(١) سواء بسواء.

ثم إن الآية الثانية أعني قوله: «هُؤْلَاءُ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ، لَا تَوْجَدُ فِي الْقُرْآنِ، وَلَيْسَ فِيهِ وَالْآيَةُ الْمَوْجُودَةُ هَكَذَا: «وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هُؤْلَاءُ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ، قُلْ أَتَنْبِئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» إِلَى قَوْلِهِ: «سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ»^(٢) ومفاد قوله تعالى: «وَيَقُولُونَ هُؤْلَاءُ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ» هو الاعتذار عن العبادة لما لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ بِالْإِسْتِشْفَاعِ، فَوَجَّهَهُمُ اللَّهُ بِأَنَّ هَذَا الْكَلَامَ إِخْبَارٌ بِأَمْرٍ لَا يَعْلَمُ اللَّهُ وَجُودَهُ فِي السَّمَاوَاتِ؛ لِأَنَّ الْإِسْتِشْفَاعَ بِمَا لَا يَنْفَعُ اسْتِشْفَاعَ الْعَبْدِ بِمَا لَيْسَ لَهُ وَجَاهَةٌ عِنْدَ اللَّهِ، فَصَارَ سَبِيلُ هَذِهِ الْآيَةِ سَبِيلَ الْآيَةِ الْأُولَى مِنْ حَيْثُ عَدَمُ الْإِرْتِبَاطِ بِالْمُدَّعَى أَعْنَى تَسْوِيَةِ كَلَامِ الْمُسْتَشْفِعِينَ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ لِكَلَامِ الْكُفَّارِ بِالْبَيَانِ الَّذِي قَدَّمَ نَاه.

والعجب من قول القائل: «واعلم أن هذه الشبه الثلاث أكبر ما عندهم، فإذا عرفت أن الله تعالى وضَّحها في كتابه، وفهمتها فهماً جيداً، فما بعدها أيسر منها».

١ - في الأصل: الكلامين، والصحيح ما أثبتناه.

٢ - سورة يونس: الآية: ١٨.

وجه العجب أنَّ القائل مع كونه من العرب، ومستأنساً بالقرآن
أستدل بآيات لا دخل لها في المطلب، فيستحق أن يقال في حقه:

يَا مَنْ يُرَى مِنْهُ الْعَجَبُ يَكْفِيكَ خِزْيُ الْمُكْتَسَبِ
لَا تَعْجَلَنَّ بِالنَّارِ قَبْلَ الْآخِرَةِ أَنْ صِرْتَ حَمَالًا الْحَطَبُ
تَمْشِي بِأَقْوَالِ الَّتِي قَدْ قَلَّتْهَا بَعْدَ التَّعَبِ^(١)

ثم قال: «فإن قال: أنا لا أعبد إلا الله، وهذا الالتجاء إلى
الصالحين ودعائهم ليس بشرك، فقل له: أنت تُقر أن الله قد
فرض عليك إخلاص العباد،، فإذا قال: نعم فقل له: بين لي
هذا الفرض الذي فرض الله عليك؛ وهو إخلاص العباد؛ وهو
حقه عليك؛ فإنه لا يعرف العباد، ولا أنواعها، فإذا أعلمته بهذا
فقل له: أقررت أنه عبادة لله، فلا بد أن يقول: نعم، والدعاء مخ
العبادة، فقل له: إذا أقررت أنه عبادة لله، ودعوت الله ليلاً ونهاراً
خوفاً وطمعاً، ثم دعوت في تلك الحاجة نبياً أو غيره، هل
أشركت في هذه العبادة غير الله؟ فلا بد أن يقول: نعم، فقل له:
قال الله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحِرْ﴾^(٢) فإذا أطعت الله، ونحرت
له، هل هذا عبادة؟ فلا بد أن يقول: نعم، فقل له: إذا نحرت

١- كذا.

٢- سورة الكوثر: الآية ٢.

لمخلوق؛ نبي أو جنّي أو غيرهما هل أشركت في هذه العبادة غير الله؟ فلا بدّ أن يقرّ ويقول: نعم» انتهى.

ومحصّل كلامه في جواب القائل: «بأنّ لا نشرك في عبادتنا أحداً ممّن نجعله شفعا» أنّ كلّما هو عبادة لله إذا فعلتها لغير الله أيضاً فهو تشريك له به، فالذّبح يقع عبادة لله إذا لم يقع لغيره، فإذا وقع لغيره صار ذلك الغير شريكاً لله في تلك العبادة.

هذا محصل مرّاه بعد إسقاط فضول كلامه، وهو كما ترى غلط لا يصدر من جاهل فضلاً عن عاقل؛ لأنّ العبادة خضوع خاصّ وخشوع مخصوص لها كميّات خاصة توقيفيّة، وتعيينها بلسان النبي ﷺ على طبق ما أمر الله تعالى بتبليغها، فالنحر المحسوب عبادة المشار إليه بقوله تعالى: ﴿فصل لربك وانحر﴾^(١) بناء على تفاسير أهل السنّة مخصوص بنحر يوم العيد في «منى» فلا يذبح ولا ينحر أحد إبلاً ولا غنماً في منى^(٢) لغير الله بل لا يذبح أحد الشاة خضوعاً لأحد، بل يذبح إمّا تكريماً لقدمه أو تصدّقاً لمريض أو غير ذلك، باعتبار كون ذلك مأموراً به من الله تعالى، والذّبح المنذور صدقة، فهو أيضاً متمحّض لله؛ لأنّ الناذر يقول: لله على ذبح غنم إن شافى الله مريضى، أو رزقنى ولداً ذكراً.

١- سورة الكوثر: الآية ٢.

٢- في «س» و«ن»: المعنى، والصحيح ما أثبتناه.

وأما الذَّبْح للعبّاس بن علي بن أبي طالب عليه السلام فهو ذبح يرجع إلى الله؛ ليكون ثوابه هدية للعبّاس عليه السلام؛ ليشفع عند الله في حاجة للذابح يقضيها^(١) الله تعالى، فكلّ الذَّبْح راجع إلى الله، ومصرف المذبح هم الفقراء وغيرهم ممن عيّنه الله ورسوله ﷺ، وذبح المشركين راجع إلى آلهتهم، وكانوا يمنعون الفقراء منه، بل مصرفه عندهم خدام الأصنام والمستحفظين لها.

هذا وكذلك الدّعوة أيضاً لله تعالى؛ فإنّ الدّعاء الذي يحسب عبادة هو ما يسأل المصلّي من تعالى في قنوته أو تعقيب صلواته أو حال مناجاته في مظانّ إجابة الدّعوة وكلها معيّنة بكيفيات خاصّة من الخضوع والخشوع والابتهاال والبكاء، ولا يدعو أحدٌ أحداً من الأنبياء والأولياء مثل ما يدعون الله تعالى، مثلاً يقول الدّاعي: يا ربّ أعطني سعة في الرّزق، وبركة في المال، وصحّة في الجسم إلى غير ذلك، ولا يقول: يا محمّد ﷺ أو يا علي عليه السلام أعطني سعة في الرّزق الخ بل يقول: يا رسول الله ﷺ أو يا أمير المؤمنين عليه السلام اشفع لي عند الله تعالى أن يعطيني كذا وكذا، وهذا الدّعاء ليس عبادة، بل استغاثة والتّجاء كما يقول الأعمى: يا رجلاً خذ بيدي أو يقول شخص لأحد: اركبني على فرسي، أو يقول الغريق لسبّاح:

١ - في «س» و«ن»: يقضها، والصحيح ما أثبتناه.

أُنقِذْنِي.

فالعبد المقصّر عند مولاه إذا قال للوجيه عند المولى : اشفع لي عند مولاي في العفو عني ، فهذا يعدّ التجاء واستغاثة لا أنّه تشريك في الدّعاء الذي هو محّ العبادّة؛ فإنّ لتلك الدّعوة كيفة مخصوصة ، لا تصدر^(١) من أحد بتلك الكيفة إلّا الله تعالى فالقياس غير لائق على أنّه مع الفارق .

ومن العجب ما يقوله بقوله «فإنّه لا يعرف العبادّة وأنواعها» فإنّه مع كونه تخرّصاً أمر غير معقول عادة؛ إذ لا يمكن أن يكون كلّ محتجّ بهذا الاحتجاج غير عارف بالعبادة وأنواعها محتاجاً إلى بيان خصمه .

وقد عرفت ممّا قرّرت هنا أنّ قوله : «فقل له: أقررت أنّه عبادة ودعوت الله ليلاً ونهاراً خوفاً وطمعاً ، ثمّ دعوت في تلك الحاجة نبياً أو غيره هل أشركت في هذا الدّعاء غيره ، فلا بدّ أن يقول : نعم» غلط واضح؛ إذ الفرض غير واقع؛ فإنّ للدّعاء الذي يدعو به الله لحاجة كسعة الرّزق أو بركة في المال يطلب به نفس الحاجة يقوله : اللهمّ أعطني سعة في الرّزق مثلاً ، ولا يقول يا رسول الله ﷺ أعطني سعة في الرّزق ، بل يقول : يانبيّ

١ - في الاصل : يصدر ، والانصب ما ذكرناه .

الله اشفع لي عند الله أن يعطيني سعة في الرزق، فكيف يقول: «فلا بد أن يقول نعم» ومثل هذا الكلام ما قاله بالنسبة إلى الذبح بالتقريب المتقدم.

أفسد الدهر فساد الخرص من لجاج وعناد الخرص
خرق بنیان ركيك أضله لا يعمّر بعجين الجص^(١)
ليس ما قلت يفيد السامع دع مقالاً لخبال اللص^(٢)

[في دعوى أن طلب الشفاعة من الأنبياء كطلبها من الأصنام؟]

ثم قال القائل: «ثم قل له: المشركون الذين نزل فيهم القرآن هل كانوا يعبدون الملائكة والصالحين واللات وغير ذلك، فلا بد أن يقول: نعم فقل: هل كانت عبادتهم إياهم إلا في الدعاء والذبح والالتجاء ونحو ذلك وإلا فهم مقرّون أنهم عبيد الله تحت قهره وتصريفه، وأن الله الذي يدبر الأمر، ولكن دعوهم والتجأوا إليهم للجاء والشفاعة، وهذا ظاهر».

وخلاصة مرامه تكرار مقالاته الباطلة من أن الإقرار

١- كذا.

٢- كذا.

بالربوبية لله تعالى يوجب انحصار عبادتهم لهؤلاء المعبودين في الدعاء إياهم و الذبح لهم ، والالتجاء إليهم للجاء والشفاعة ، وقد قرّرنا بطلان هذه المقالات بتقريرات مختلفة في موارد متعدّدة، فلا نعيدها؛ فإنّ العاقل المنصف تكفيه الإشارة، والمعاند المتعسف لا يرده عما هو عليه تكرار العبارة، وأحسن ما يليق أن يقال في حقه ما قيل بالفارسية .

كوش أكر كوش تو وناله أكرناله من
أنكه البته بجائي نرسد فريادست

ويستحقّ أن تقول له : أخطب من أراه تائهاً في ضلاله لا هديه لكنّه لا حياة له^(١).

ثم قال : «إذا قال أتنكر شفاعته رسول الله ﷺ وتبرأ عنها فقل لا أنكرها، ولا أتبرأ منها، بل هو ﷺ الشافع المشفع، وأرجو شفاعته، لكنّ الشّفاعه كلّها لله كما قال الله تعالى: ﴿قل لله الشّفاعه جميعاً﴾^(٢) ولا تكون إلّا بعد إذن الله كما قال تعالى ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلّا بإذنه﴾^(٣) ولا يشفع في أحد إلّا بإذن الله

١- هذا في الظاهر ترجمة للبيت الفارسي المتقدم.

٢- سورة الزمر: آية ٤٤.

٣- سورة البقرة: الآية ٢٥٥.

فيه ، ولا يأذن إلا لأهل التوحيد والإخلاص كما قال تعالى :
«وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرْتَضَى»^(١) وهو لا يرضى إلا التوحيد
كما قال الله تعالى : «وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ
مِنْهُ»^(٢) الآية فإذا كانت الشفاعة كلها لله ، ولا تكون إلا بعد
إذنه ، ولا يشفع النبي ﷺ ولا غيره في أحد حتى يأذن الله فيه ،
ولا يأذن إلا لأهل التوحيد تبين أن الشفاعة كلها لله ، وأطلبها منه
فأقول : اللهم لا تحرمني شفاعته ، اللهم شفّعه فيّ وأمثال هذا»
انتهى .

وخلاصة مرامه أن الجمع بين كون الشفاعة كلها لله وأنها لا
تكون إلا بإذنه ، والمأذون فيها لا يشفع إلا لمن أرتضى غير ممكن
إلا بأن يقال إنه يصحّ الطلب من الله شفاعته بأن يقال : اللهم شفّعه
النبي ﷺ أو غيره فيّ فيكون قول من يقول : يا أيها النبي اشفع لي
عند الله شركاً ؛ لأن الشفاعة كلها لله ، وإذا طلب السائل ذلك من
النبي ﷺ أو غيره فقد أشركه مع الله .

هذا لكنك خير بأن هذا الكلام أقبح الكلمات ، فإن النزاع
اللفظي غير لائق بالعلماء سيما في الأمور المهمة التي تتعقبها^(٣)

١ - سورة الأنبياء : الآية ٢٨ .

٢ - سورة آل عمران : الآية ٨٥ .

٣ - في «س» و «ن» تتعقبه ، والصواب ما أثبتناه .

المفاسد الكثيرة، مضافاً إلى أن نسبة ذلك إلى المستشفعين بالأنبياء والأولياء تهمة وتجرية؛ فإنهم يقولون في تشهد صلواتهم: «وتقبل شفاعته وارفع درجته»^(١) وقد يقولون: «اللهم إني أتقرب إليك بذكرك، واستشفع بك إلى نفسك»^(٢) وقد يقولون «يا وحيهاً عند الله أشفع لنا عند الله»^(٣) وفي هذه العبارة إشعار بأن الاستشفاع بالشفيع المخاطب إنما هو لأجل وجاهته عند الله تعالى لا لكونه مالك أمره، وأيضاً فيها تلويح بأن الإذن في الاستشفاع حاصل لكل وحيه عند قربه إليه، [و] كيف لا يكون كذلك وقد أمر الله تعالى عباده بطلب الرحمة من الله لنبيه ﷺ بقوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا»^(٤) بعد ما ذكر أنه تعالى وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ مشعراً بكمال وجاهته ﷺ عنده تعالى، وقربه منه، ومحبيته لديه، مع ما جبّل عليه الطباع والعقول من قبول شفاعته الشفيع عند المتقرب إليه والمحبوب لديه.

١ - فروع الكافي ٣: ١٨٨.

٢ - مفاتيح الجنان: دعاء كميل.

٣ - المصدر السابق: دعاء التوسّل.

٤ - سورة الأحزاب: الآية ٥٦.

تبصرة وإيضاح تقلب و إيقاظ عن إغفال

في استدلال القائل بقوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً﴾ إسقاط لما قبل الآية وذيلها بما يتضح به حقيقة المطلوب والمراد؛ فإن الآية السابقة عليه قوله تعالى: ﴿أَمْ أَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَئِكَ كَانُوا لَیْمَلِكُونَ شَيْئاً وَلَا یَعْقِلُونَ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً لَهُ مَا فِی السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَیْهِ تُرْجَعُونَ﴾^(١) توبيخ في الآية الشريفة لعبدة الأصنام بالاستفهام الإنكاري اللومي؛ حيث قالوا فيما يعبدون من الأصنام: هؤلاء شفعاؤنا عند الله، معللاً للتوبيخ بأن الشفيع لابد في شفاعته أن يكون مالكا للشفاعة، ومختاراً للمشفوع لأمر يستشفع عنده، أو يكون عالماً عاقلاً موجهاً مستحقاً للإكرام والاحترام، بقبول شفاعته لمقام علمه وشرف عقله، وحينئذ فلا تستحق الأصنام مقام الشفاعة مع كونها آلهة عندهم، بل الشفاعة كلها لله، ولا شريك له في ذلك، فهو بنفسه شفيع للمقربين والمذنبين عند نفسه برحمته الواسعة، ويجعل الشفيع عنده بمن عينه شافعاً لقربه إليه بشرف العلم والعقل، وهو المأذون من طرفه في شفاعته المذنبين المصترين وقضاء حوائج المحتاجين، لكونه تعالى مالك ما في

١- سورة الزمر: الآيتان ٤٣ و ٤٤.

السموات والأرض من أمر الشفاعة وغيرها، فإنه يرجع شفاعة من يشفع بإذنه لرجوع كل الأمور إليه، فهذه بالصراحة تدل على غلطية قولهم: هؤلاء شفعائنا عند الله، وفي صحة شفاعة من يكون له وجهة عنده وقرب لديه؛ لعلمه وعقله، وتصريح بأن شفاعته أيضاً شفاعة راجعة إلى الله، لرجوع كل أمر إليه، فالآية دليل لنا لا علينا.

وأما الاستدلال بقوله تعالى «ولا يشفعون إلا لمن ارتضى»^(١) فشيء لا ينكره أحد من المستشفعين بالأنبياء والأولياء؛ فإنهم معتقدون بأنهم عليهم السلام بأمره تعالى يعملون، وبحكمه يحكمون، وإلى سبيله يرشدون لا يوجبون على الله قبول الشفاعة، ولا يتمنون من الشفعاء إلا نفس الشفاعة في ظاهرها لهم، ويطلبون من الله قبول شفاعتهم في الباطن.

وكون الرضا بالشفاعة لأهل التوحيد مسلم لكن الإشكال في تخصيص الموحدين بالوهابية دون سائر المسلمين.

وفي الاستدلال بهذه الآية لإثبات كون غيرهم مشركين دور واضح؛ لتوقف عدم الرضا بالشفاعة لهم على كونهم غير موحدين، وتوقف كونهم كذلك على كون استشفاعهم شركاً وهو

١ - سورة الأنبياء: الآية ٢٨.

عين المتنازع فيه .

قُلْ لِمَنْ عَائِدَ لِلْحَقِّ أَيَا سَالِكٌ عَنْ صَقْعٍ عَدَلٍ عَدَلًا
مَسْلُوكٌ الْحَقُّ طَرِيقٌ وَاحِدٌ لَا يَجَاوِزُ عَنْهُ إِلَّا الْحَوْلَا
لَمْ يَكُنْ إِثْبَاتٌ حَقٌّ بِالْجِدَالِ دَعَاءٌ مَرَاءً ظَاهِرًا أَوْ جَدَلًا

ثم قال : «فإن قال : إنَّ النَّبِيَّ أُعْطِيَ الشَّفَاعَةَ وَأَنَا أَطْلِبُهُ مِمَّا^(١)
أَعْطَاهُ اللَّهُ ، فَالْجَوَابُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعْطَاهُ الشَّفَاعَةَ ، وَنَهَاكَ أَنْ
تَدْعُوَ مَعَ اللَّهِ أَحَدًا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ
أَحَدًا﴾^(٢) وَطَلَبُكَ مِنَ اللَّهِ شَفَاعَةَ نَبِيِّهِ ﷺ عِبَادَةً ، وَاللَّهُ نَهَاكَ أَنْ
تَشْرِكَ فِي هَذِهِ الْعِبَادَةِ أَحَدًا فَإِذَا كُنْتَ تَدْعُو أَنْ يَشْفَعَهُ فَيْكَ
فَأَطَعَهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿فَلَا تَدْعُوا﴾ فِي هَذِهِ الْعِبَادَةِ ﴿أَحَدًا﴾
انتهى .

وملخص مقصوده : أَنَّ إِعْطَاءَ الشَّفَاعَةِ تَكْرِيمٌ لِنَبِيِّهِ ﷺ وَهُوَ فِي
مَحَلِّهِ ، وَالنَّهْيُ عَنْ أَنْ تَدْعُوَ مَعَ اللَّهِ أَحَدًا تَكْلِيفٌ مُتَوَجِّهٌ إِلَيْكَ وَجَمْعُ
الطَّالِبِينَ^(٣) ، يَحْصُلُ أَنَّ تَطْلُبَكَ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَشْفَعَكَ النَّبِيُّ فَيْكَ ، لَكِنَّكَ
أَنْتَ لَا تَدْعُو غَيْرَ اللَّهِ نَبِيًّا كَانَ أَوْ وَلِيًّا أَوْ مَلَكًا أَوْ صَالِحًا .

١ - كذا ، والصحيح معن .

٢ - سورة الجن : الآية ١٨ .

٣ - في الأصل : المطلبين والصواب ما أثبتناه .

هذا لكنك إذا تأملت في حقيقة معنى إعطاء الله تعالى الشفاعة
لنبيه أو ولياً، عرفت أنه لا معنى للإعطاء إلا ترغيب الناس إلى
الاستشفاع به وطلب ما أعطاه ربه، ويدل على ذلك ما ورد في
تفسير قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾^(١) من
أن المراد بتلقيه تلك الكلمات التوسل بالأسماء المكتوبة في ساق
العرش، فتوسل بها وقال: «اللهم بمحمد ﷺ وأنت المحمود» إلى
آخر الخبر^(٢) فقبل بذلك توبته، بل نقول: إنه إذا قال الداعي: اللهم
لا تحرمني شفاعته النبي ﷺ، أو شفعه في لا معنى له غير قبول
شفاعته بعد الاستشفاع به؛ إذ أصل الشفاعة المعطى بها للنبي ﷺ
ولا حاجة إلى دعوة الداعي ومطلوب الداعي قبول شفاعته فيما
استشفعه به، فإذا قال خطاباً للنبي ﷺ: يا وجهاً عند الله اشفع لي
عند الله، فقد طلب الشفاعة صريحاً من النبي ﷺ وقبوله ضمناً من
الله تعالى وإذا قال: اللهم لا تحرمني شفاعته النبي ﷺ أو شفعه في،
فقد طلب من الله قبول شفاعته ﷺ واستشفع به ﷺ ضمناً، وهذا
ظاهر عند العارف المنصف وذو الوجدان غير المتعسف^(٣).

وأما النهي عن دعوة غير الله بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ

١ - سورة البقرة: الآية ٣٧.

٢ - راجع تفسير الآية في مجمع البيان ١: ٢٠٠ ط دار المعركة - بيروت.

٣ - في الأصل: الغير معتسف، والصواب ما أثبتناه.

فلا تدعوا مع الله أحداً^(١) فهي عن الدّعوة المخصوصة التي كانت معمولة عند عبدة الأصنام، بل اليهود والنصارى، حيث إنهم في بيعهم وكنائسهم يدعون العزيز وعيسى عليه السلام بالألوهية، وعبدة الأصنام كانوا يقولون: لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك، فالآية ناهية عن تلك الأفعال، ولو سلمنا العموم فهو مخصص بالدّعوة الاستشفاعية لمن أعطاه الله الشّفاعَة، ولو سلمنا عدم التّخصيص فنقول: ليس الاستشفاع بالنبي صلى الله عليه وآله دعوة لغير الله تعالى، ونفس الاستشفاع للوجاهة ليست بعبادة، والنهي عن دعوة غير الله مع الله الدّعوة بالألوهية لا الدّعوة للاستشفاع، وقد قدّمنا أنّها مستلزمة لدعوة قبول الشّفاعَة.

وبما ذكرنا ظهر لك أنّ قول القائل: «طلبك من الله شفاعَة نبيه صلى الله عليه وآله عبادة، والله نهاك أن تدعو مع الله أحداً في العبادة» مغالطة وليس في محله؛ لأنّ الاستشفاع بالنبي صلى الله عليه وآله والوليّ أيضاً عبادة لله لتضمنه طلب قبول الشّفاعَة، لأنّ طلب شفاعَة نبيه صلى الله عليه وآله ليس إلّا لأجل التوجّه إلى ذات الحقّ وهو حاصل بالاستشفاع بالنبي صلى الله عليه وآله لأنّ معنى الاستشفاع طلب الحاجة بتوسّط النبيّ المجعل له الشّفاعَة، والمأذون في الشّفاعَة بإعطائها له صلى الله عليه وآله.

١ - سورة الجن: الآية ١٨.

ثم قال القائل: «وأيضاً فإن الشفاعة أعطاها غير النبي ﷺ
فصح أن الملائكة يشفعون والأولياء يشفعون، أتقول إن الله
أعطاهم الشفاعة فاطلبها منهم، فإن قلت هذا رجعت إلى عبادة
الصالحين التي ذكرها الله تعالى في كتابه، وإن قلت: لا، بطل
قولك: أعطاه الله الشفاعة وأنا أطلبه مما أعطاه الله» انتهى.

وخلاصة مقاله في إثبات أن إعطاء الشفاعة من فضل الله ليس
مختصاً بالنبي ﷺ بل أعطاه كل الصالحين، فالاستشفاع بهم ليس
شركاً وقد جعله الله شركاً، فليكن الاستشفاع بالنبي ﷺ كذلك.
هذا لکنک بعد التأمل فيما ذكرناه مما تقدم من أن عبدة الأصنام
والملائكة وعيسى عليه السلام وغيرهم كانوا يسمّون العبادة شفاعة
بقولهم: «هؤلاء شفعاؤنا عند الله»^(١) «وما نعبدهم إلا ليقرّبونا
إلى الله زلفى»^(٢) تعرف الفرق بين كلامهم وعملهم وبين عمل
المستشفعين بالأنبياء والأولياء وكلامهم مع أن لنا أن نقول: إن
الشفاعة لم تعط^(٣) من الله إلا للنبي ﷺ وأوصيائه، ولهذا نقول:
وبحمد وآله ﷺ نتوجه إليك ونستشفع لديك ونقول في التشهد
وتقبل شفاعته والالتجاء بغيرهم باعتبار كونهم من المقربين

١- سورة يونس: الآية ١٨.

٢- سورة الزمر: الآية ٣.


٣- في الأصل: يعط، والأنسب ما ذكرناه.

والموجهين عند الله ترجيح للمرجوح على الراجح والمفضل على
 الفاضل ولا يصدر ذلك عن العاقل، فمع إمكان الاستشفاع بالنبي
 وآله عليهم السلام، والالتجاء بهم، ومعلومية أفضليتهم من جميع الأنبياء
 والمرسلين والملائكة المقربين، لا حاجة لأحد إلى الالتجاء
 والاستشفاع بغيرهم، وَمَنْعُنَا عن الالتجاء بهم إنما هو لكون ذلك
 تفضيلاً للمفضل على الفاضل، ولا يصدر إلا عن سفيه أو جاهل.

زَعِمَ الجَاهِلُ السَّرَابَ كَمَا يُتْرَوَى بِهِ غَلِيلُ ظَمَاءٍ
 قُلْ لَهُ بَالِغُ النَّظَارَةِ فِيهِ كَيْ تَرَى نَظْرَةَ الْحُمَقَاءِ
 كَيْفَ هَذَا الْقِيَاسُ عِنْدَ بَصِيرٍ عَائِنِ الْمِيزَانِ غَيْرَ سَوَاءٍ

ثم قال القائل: «فإن قال: أنا لا أشرك بالله شيئاً حاشا وكلاً،
 لكن الالتجاء بالصالحين ليس بشرك فقل له: إذا كنت تقر بأن الله
 تعالى حرّم الشرك أعظم من تحريم الزنا وغيره، وأن الله لا
 يغفره، فما هذا الأمر الذي عظمه الله وذكر أنه لا يغفره؟ فإنه لا
 يدري فقل: كيف تبرئ نفسك عن الشرك وأنت لا تعرفه؟ كيف
 يحرم الله عليك هذا ويذكر أنه لا يغفره ولا تسأل عنه ولا تعرفه؟
 أتظن أن الله يحرمه ولا ينبه لنا؟ فإن قال: الشرك عبادة الأصنام
 فقل له: ما معنى عبادة الأصنام أتظن أنهم يعتقدون أن تلك
 الأحجار والأخشاب تخلق وترزق وتدبر أمرهم إن دعوها؟

فهذا يكذبه القرآن، أو هو قصد خشبة أو حجراً^(١) أو بناء على قبر أو غيره، ويدعون ذلك، ويذبحون له، ويقولون: إنه يقربنا إلى الله زلفى، ويدفع عنا الله ببركته، ويعطينا ببركته، فقد صدقت، وهذا هو فعلكم عند الأحجار والبنايا^(٢) التي على القبور، فهذا أقر بأن فعلهم هذا هو عبادة الأصنام فهو المطلوب» انتهى.

وملخصه تكرار للمقال وإعادة لما قال من أن أفعال المستشفعين بقبور الأنبياء والأولياء هي ما كان يعمل به [يعمله خل] عبدة الأوثان، والمراد من الشرك المحرم الذي هو أعظم من الزنا هو هذا، لكن لا يعلم أنه شرك، فإذا علمته واعترف بأن عبدة الأصنام كانوا يعملون مثل عملهم ويفعلون مثل فعلهم وقولهم ثبت المطلوب.  أقول: هذا الكلام من هذا القائل مشتمل على خرص وجهل وكذب وتهمة.

أما الخرص فهو قوله: «فإنه لا يدري الخ» إذ معنى الشرك معلوم لغة وعرفاً لكل من استأنس بلسان العرب، وليس له غير المعنى اللغوي أو العرفي إلا ما اصطلاح عليه الوهابية، والقرآن

١- كذا.

٢- كذا.

منزل على لسان العرب لا على ما اصطلاح عليه جماعة تقليداً لعبد الوهاب الأصفهاني العجمي.

فنقول نحن نعلم الشرك الذي نتبرأ منه، ونقول: هو حاصل لمن لم يوحد الله ذاتاً وفعلاً ووصفاً وعبادة، فمن عبد غير الله بما هو عبودية لله تعالى فهو مشرك، وكذا التشريك في الأمور الثلاثة غير العبادة أياً ما كان، وقد سبق.

وأما الجهل فلائه - على ما يفهم من كلماته - لم يعلم أن الشرك كالنوحيد أمر قلبي وفعل من أفعاله يختلف عمل الجوارح باختلافه، مثلاً الانحناء لشخص عظيم يجلّله تعظيم، ولغيره مسخرة واستهزاء، وليس حاله كالسجود المختص بالله تعالى حتى لا ينقلب عنوانه بالقصد، فتقبيل الحجر الأسود^(١) واستلامه، وكذا الأحجار والأخشاب المعمولة للبناء على قبور الأنبياء والأولياء والالتجاء بهم لا يقاس بأفعال عبدة الأوثان، فإنهم يدعون أصنامهم، ويدبحون لها، والمستشفعون بالأنبياء لا يدعونهم، ولا يدبحون لهم، ولا يقولون: ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾^(٢) وقد سبق تبيان ذلك.

فقوله: «وهذا هو فعلكم عند الأحجار والبنايا التي على

١ - في الأصل: حجر الأسود، والصحيح ما أثبتناه.

٢ - سورة الزمر: الآية ٣.

القبور وغيرها الخ» باطل ناشٍ عن جهل بمعنى العبادة، وكذب
 و تهمة في نسبة فعلنا إلى فعل عبدة الأصنام، وهذا الكلام لا
 يصدر عن العوام إلا ضلّ من الأنعام؛ لأنّ المشركين كانوا يقولون:
 ﴿أَتْنَهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾^(١) أو يقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا
 لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ فيصرحون بأنّهم يعبدون الأصنام التي
 قال الله تعالى فيها: ﴿لَا يَمْلِكُونَ شَيْئاً﴾^(٢) حتّى الشّفاة،
 ﴿وَلَا يَعْقِلُونَ﴾^(٣) شيئاً فيكون سبباً لقربهم ووجهاتهم عند الله.
 وأما المستشفعون بالأنبياء فيصرحون بقول لا إله إلا الله،
 ولا نعبد إلا إيّاه، ويستشفعون بمن أذن الله في الاستشفاع به، وهو
 وجهه عند الله، وواسطة لإيصال الفيوضات من الله إلى عباده،
 ومع قربه ووجهته لا يعبدونه، بل يقولون لا نعبد إلا إيّاه، فكيف
 لا يستحيي ولا يخجل هذا القائل من قوله: «هذا فعلكم عند
 الأحجار الخ»؟ مع أنّ الكلام كان في الاستشفاع والالتجاء،
 وليس أحد من المستشفعين بالأولياء يفعلون ذلك بالنسبة إلى
 أحجار بنيان القبور وأخشابه، وما أشبه هذا الكلام السّفسطي
 بمقالة من يقول من أهل السنّة من أنّ الشيعة الرافضة^(٣) مشركون

١- سورة هود: الآية ٦٢ وفي الأصل: أتنهانا عمّا يعبد... والصحيح ما ذكرناه.

٢- سورة الزمر: الآية ٤٣.

٣- في الأصل الرّفضة، والصحيح ما أثبتناه.

لسجودهم على التربة؛ وهي كالصنم لعبادته، وكلما يقول الساجد على التربة من أن هذا تعفير، وهو مندوب، وخضوع مخصوص لله جلّ جلاله؛ لا يقبلون منه الاعتذار، ويجعلونه مسلك الفرار، كما أن الشيعة تقول لهم: إن التكتف حال القراءة قبل الركوع تعظيم للجبابة عند الوقوف بحضورهم، ولا يصح أن يعمل في الوقوف عند الله ما يعمل للوقوف بحضور الجبابة، وهو بدعة، مستحدثة لم يأت بها النبي المختار ﷺ ولم تحكم^(١) به شريعة سيد الأبرار يقولون: هذا أدب عمله للعظماء وأي عظيم أعظم من الله، ولا يقبلون الأدلة الدالة على المنع منه باستحسان عندهم، لكن الحق أحق أن يتبع.

أيا مَنْ أَنْتَ مَخْتَالٌ فخورٌ وتزعمُ أنك حيالٌ غرورٌ
أَتُخَدَعُ بالتمويه جمعاً^(٢) وبين يديك منتقم غيورٌ
ترى يوماً يخاصمك الجماعة عليك جزاء ما تعمل بدورٌ

[في دعوى أن الشرك لا يختص بعبادة الأصنام]
ثم قال: «ويقال له أيضاً قولك الشرك عبادة الأصنام هل مرادك أن الشرك مخصوص بهذا، وأن الاعتماد على

١- في الأصل: يحكم والأنسب ما أثبتناه.

٢- كذا.

الصالحين ودعائهم لا يدخل في ذلك؟ فهذا يرده ما ذكره تعالى في كتابه العزيز من تعلق بالملائكة وعيسى عليه السلام والصالحين، فلا بد أن يقرّ لك أن من أشرك في عبادة الله أحداً من الصالحين فهو الشرك المذكور في القرآن، وهذا هو المطلوب» انتهى.

وملخص مقصوده: أن الشّرك غير مختص بعبادة الأصنام؛ فإن الله تعالى كفر من تعلق بالملائكة وعيسى والصالحين وتكفيرهم إنما هو لكونهم داعين مع الله أحداً، فيكون فعلكم كعملهم، في كونه شركاً.

هذا مرامه، لكنك خير بأن هذه سفسطة واضحة؛ لأن التعلق بالملائكة وعيسى والصالحين يصدق عليه العبادة، والدعوة مع الله أحداً بالبيان المتكرر المتقدم، وهذا غير الاستشفاع بالنبي عليه السلام والولي عليه السلام وبينهما بون بعيد، وتفاوت شديد، فلا يشابهه ولا يدانيه، ويدرك ذلك من لا عيب فيه ودلالة الوجدان عليه تغنيه، وقد تكرر منا بيانه جواباً لتكرار برهانه، فإنه حيث لم يكن عنده دليل على مدّعه سوى ما ادّعه أولاً وحققنا جوابه كاملاً، يكرّر ذلك بعبارات مختلفة غير فصيحة، ويلزمنا التكرار رداً عليه وكلّما عاد للإضلال عدنا عليه للاذلال.

إنّ عادت العقرب عدنا لها وكانت النمل لها حاضره

ثم قال القائل: «وسر المسألة أنه إذا قال: أنا لا أشرك بالله شيئاً فقل له: وما الشرك بالله؟ فسره لي فإن قال: هو عبادة الأصنام فقل: ما معنى عبادة الأصنام؟ فسرها لي، فإن قال: أن لا نعبد إلا الله فقل ما معنى عبادة الله؟ فسرها لي، فإن قال بما فسره القرآن فهو المطلوب، وإن لم يعرفه فكيف يدعي شيئاً لا يعرفه، وإن فسره بغير معناه بين له الآيات الواضحات في معنى الشرك، وما قاله عبدة الأوثان أنه الذي يفعلونه هذا الزمان بعينه، وأن عبادة الله وحده لا شريك له هي الذي ينكرون علينا، ويصيحون كما يصيح إخوانهم حيث قالوا: «أجعل الآلهة إلهاً واحداً هذا لشيء عجاب»^(١) انتهى.

ومراده من هذا الكلام الطويل ما كرره سابقاً من أن عبدة الأصنام مقرون بالله الخالق الرازق المدبر، ويستشفعون بالأصنام والصالحين للتقرب إلى الله، وهذا عين ما عليه أهل زماننا لكونهم مقربين بالله خالقاً ورازقاً ويستشفعون بالصالحين للتقرب إلى الله، ولكنك قد عرفت الجواب بما ذكرنا في المقدمات وغيرها.

ونجيب كلامه هنا أيضاً بتعبير أوضح فنقول في جواب السؤال عن تفسير الشرك أعني قوله: «ما الشرك فسره لي»: أن الشرك العبادة لغير الله بما يعبد به الله تعالى وحده، ومعناه أنه إذا تواضع

١- سورة ص: الآية ٥.

وخشع لغير الله بالخضوع والخشوع الذي يفعله الله من السجود والركوع والقنوت والدعوات الخاصة به تعالى فهو مشرك بالله وإن سُمِّي من فَعَلَ له ذلك شافعاً عند الله فضلاً عن أن يسمَّيه إلهاً، ولا خفاء في معنى الشرك لغة وعرفاً حتَّى يحتاج إلى التفسير بعبادة الأصنام.

وكذا نقول في جواب السؤال عن معنى عبادة الله: إنَّ العبادة التشريعية والتكوينية قد بيَّناهما في المقدمات؛ وهي توقيفية يتوقف بيانها على تعيين النبي ﷺ، ولا يجوز التعدي عما بيَّنه ﷺ، ويحرم فعل ما عيَّنه الله عبادة لغيره تعالى، وعلى هذا فتفسير الآيات بما بيَّنه وفسَّره هذا القائل تفسير بغير ما هو حقُّ التفسير لها، فيشملة قول النبي ﷺ: «من فسَّر القرآن برأيه فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»^(١) وقد فصلنا الفرق بين عمل عبدة الأصنام وعمل المستشفعين بالأنبياء والأولياء ﷺ فراجع ولكن:

لا تَزْعَمَنَّ يَا مَنْ لَهُ التَّديِيرُ في التفسير

يُقْبَلُ لَدَيْ أَحَدٍ مَا قُلْتَهُ بِنَقِيرٍ

ماذا دعاك إلى الإصرار في حِمْق

تَهْجِي بِهِ مَرَّةً أُخْرَى بِتَكْفِيرٍ^(٢)

١- في البحار ج ٣ ص ٢٢٣ ح ١٤: من فسَّر القرآن بغير علم...

٢- كذا.

ثم قال القائل : «فإن قال : إنهم لم يكفروا بدعاء الملائكة والأنبياء ، وإنما كفروا لما قالوا : الملائكة بنات الله ، ونحن لم نقل عبد القادر ولا غيره ابن الله .

فالجواب أن نسبة الولد إلى الله كفر مستقل ، قال الله تعالى : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾^(١) فالأحد الذي لا نظير له ، والصمد المقصود في الحوائج ، فمن جحد هذا فقد كفر ولو لم يجحد أول السورة ، ثم قال : ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾^(٢) فمن جحد هذا فقد كفر وإن لم يجحد أول السورة ، قال الله تعالى : ﴿مَا آتَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾^(٣) ففرق بين النوعين ، وجعل كلا منهما كفراً مستقلاً .

وقال الله تعالى : ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ﴾^(٤) ففرق بين الكافرين .

والدليل على هذا أيضاً أن الذين كفروا بدعاء اللات مع كونه رجلاً صالحاً لم يجعلوه ابن الله والذين كفروا بعبادة الجن

١ - سورة الاخلاص : الآيتان ١ - ٢ .

٢ - سورة الاخلاص : الآية ٣ .

٣ - سورة المؤمنون : الآية ٩١ .

٤ - سورة الأنعام : الآية ١٠٠ .

لم يجعلوهم كذلك ، وكذلك العلماء في المذاهب الأربعة
يذكرون في باب حكم المرتد أن المسلم إذا زعم أن الله ولداً فهو
مرتد ، وإذا دعا الله ندأً فهو مرتد فيفرقون بين النوعين ، وهذا
غاية الوضوح» انتهى .

وخلاصة السؤال والجواب:

أن اعتذار المستشفعين بالأنبياء والأولياء عن كفر المشركين
المستشفعين بالملائكة من باب قولهم بكونها بنات الله ، وهذا العذر
غير مقبول؛ لكون القول بذلك كفراً آخر غير الشرك بالله .

هذا ولكن احتمال اعتذار هؤلاء بذلك من الجهالة ، بل ناشٍ من
الحماقة؛ لأن الفرق بين الكافرين واضح لا يخفى على الجهال فضلاً
عن العقلاء والعلماء ذوي الألباب ، وما أجاب به هذا القائل عن
السؤال إنما يتجه لفرض وجود سائل غير قابل بل أحق جاهل ،
وما يستحق الجواب أن يفرض السائل في مقام الفرق بين عملهم
وعمل المستشفعين بالملائكة من غير جهة قولهم بكون الملائكة
بنات الله؛ لوضوح قولهم بكونها إلهاً معبوداً وكان عملهم على ذلك
وقولهم : «هؤلاء شفعاؤنا عند الله» أو «ليقربونا إليه زلفى»
اقرار منهم بما ينافي حقيقة الاستشفاع فإن الاستشفاع بهذه
الكيفية لا يصدق عليه الاستشفاع ، وإن المستشفعين بالأنبياء
والأولياء لا يعملون عملاً ينافي الاستشفاع ، مع أن الاستشفاع

أمر يحتاج إلى إذن من الله للشفيع فيكون بالاستلزام إذناً للمستشفعين في الاستشفاع، وأنه لم يدل دليل على إذن الملائكة في الشفاعة فضلاً عن أصنامهم وأمثالها، والفرار عن جواب هذا الاعتراض بفرض السؤال المذكور، والجواب عنه بما لا يخفى على ذي مسكة مغلطة واضحة وسفسطة لائحة.

هذا كله مضافاً إلى أن الكفر علة واحدة ولو باختلاف الموجبات، وأي ربط بينه وبين اثبات الكفر بالاستشفاع بالكيفية المعمولة بين المستشفعين بالنبي ﷺ وأوصيائه ﷺ الذين لا يجعلونهم معبوداً، ولا يسمّونهم إلهاً، ولا يعبدونهم نحو عبادة المشركين الذين ساءهم الله تعالى مشركين، والقياس - مع بطلانه من أصله؛ فإن أول من قاس إبليس - لا يصح مع الفارق، والدعوة والاستغاثة اللتين ترجعان إلى دعوة الله والاستغاثة به تعالى ليس دعوة مع الله أحداً.

وبما ذكرنا ظهر لك أن عبدة اللات والجن كانوا عابدين لهما كما ذكرنا مراراً لا مستشفعين نحو الاستشفاع بالأنبياء والأولياء ﷺ من المسلمين، والاستشهاد بمقالة العلماء في المذاهب الأربعة ليس منكراً ولا مربوطاً بالمقام.

إن كنت ذا بصر فالفرق منظور أن القياس بطل والذم مشهور^(١)

لكن بعين حسود كل واضحة^(١) تستر بحقد خفي وهو مستور^(٢)

ثم قال القائل: «وإن قال: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٣) فقل هذا حق ولكن لا يعبدون، ونحن لا ننكر عبادتهم مع الله واشراكهم معه، وإلا الواجب عليك حبهم واتباعهم والاقرار بكراماتهم ولا يجحد كرامات الأولياء إلا أهل البدع والضلال؛ ودين الله وسط بين طرفين، وهدي بين ضلالتين، وحق بين باطلين» انتهى.

أقول: من الشيطنة والتقلبات المندرجة في هذا المقال تركه تقريب الاستدلال لعدم مناسبة جوابه لهذه الآية بالتقريب الذي لا يمكن الذب عنه، ونحن نستدل بهذه الآية بتقريب يعلم كل أحد عدم مناسبة الجواب معه، والعجب أنه ذكر هذه الآية وجعلها من المتشابهات، وكأنه لم يعرف تقريب الاستدلال وهو بأن يقال: لما قال الله في مواضع من كتابه الكريم: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ عرفنا صدق هذا الكلام، ولما رأينا قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا

١- كذا.

٢- كذا.

٣- سورة يونس: الآية ٦٢.

واردون^(١) عرفنا أن أولياء الله غير معبودين، وإلا لكانوا من أهل جهنم وكانوا خائفين محزونين، فنستدل بعدم الخوف عليهم وعدم حزنهم أن الاستشفاع بهم ليس عبادة ودعوة لهم، فمن جعل ذلك عبادة لهم مع الله فهو معاند لجوج ومجادل مجوج، مبطل في كلامه مضل في مرامه، وعليه وزر آثامه.

وإذا عرفت تقريب الاستدلال عرفت أن قوله: «هذا حق، لكن «لا يعبدون» تناقض في كلامه؛ لأنهم إن كانوا معبودين لا يمكنهم عدم الخوف والحزن بعد قول الله تعالى لمن يعبد سواه: «إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ» الخ فلا بد أن يحمل ما يعمل بالنسبة إليهم من الاستشفاع على ما ليس بعبادة غير الله، ولا الدعوة مع الله أحداً مع أن الإقرار بكراماتهم في حياتهم إن كان بحصول ما يسألهم الناس من شفاء مرض، أو قضاء حاجة لهم؛ فليس ذلك إلا بسبب قبول شفاعتهم عند الله؛ فإنهم لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا ولا حياة ولا نشورا.

وكذا ما يظهر منهم بعد الممات بعد التوسل بهم عند قبورهم أو في غيرها؛ لا يحصل إلا بقبول شفاعتهم عند الله في محاويع عباده وإمائهم؛ فإنهم عليهم السلام حقيقة ليسوا بأموات، بل أحياء عند ربهم

١ - سورة الأنبياء: الآية ٩٨.

يرزقون كما قال تعالى في كتابه العظيم : ﴿وَلَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحياءٌ عند ربِّهم يرزقون﴾^(١) الخ.
وبالجملة كلّما يحصل للناس بعد التوسل والاستشفاع بهم عند الله من قضاء الحوائج مثبت لكرامتهم وقربهم ووجاهتهم عند الله ،
ودليل على قبول شفاعتهم عنده تعالى .

كرامة الأولياء	شاهد صدقٍ على
شفاعة المذنبين	لدى إلهٍ لسماء
يا أيها المذنبون	قوموا إلى المغفرة
من رحمةٍ واسعة	شفاعة الشافعين

[الفرق بين شرك الأولين و شرك أهل هذا الزمان]
ثم قال القائل : «فإذا عرفت أن هذا الذي يسميه المشركون في وقتنا الاعتقاد هو الشرك الذي نزل فيه القرآن ، وقاتل رسول الله ﷺ الناس عليه فاعلم أن شرك الأولين من شرك أهل زماننا أخف بأمرين :

أحدهما : أن الأولين لا يشركون ولا يدعون الملائكة والأولياء والأوثان مع الله إلا في الرّخاء ، وأمّا في الشّدّة

١ - سورة آل عمران : الآية ١٦٩ .

فيخلصون الدين لله كما قال تعالى : «وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا»^(١)، وقال تعالى : «قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ»^(٢) ألخ وقال تعالى : «وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ»^(٣) الآية وقال تعالى : «وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظَّلِيلِ دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ»^(٤) الآية.

فمن فهم هذه المسألة التي وضحها الله في كتابه ، وهي أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يدعون الله ، ويدعون غيره في الرِّخاء ، وأما في الضِّراء والشِّدة ، فلا يدعون إلا الله وحده وينسون ساداتهم؛ تبيّن له الفرق بين شرك أهل زماننا وشرك الأولين ، لكن أين من يفهم قلبه هذه المسألة فهماً راسخاً ، والله المستعان» انتهى .

أقول : للقائل في مقاله هذا دعويان :

١ - سورة الإسراء : الآية ٦٧ .

٢ - سورة الأنعام : الآية ٤٠ .

٣ - سورة الزمر : الآية ٨ .

٤ - سورة لقمان : الآية ٣٢ .

الأولى: تسمية عمل المشركين في زمانه اعتقاداً.

الثانية: أخفية شرك الأولين عن شرك أهل زمانه؛ لكون الأولين داعين لغير الله في الرخاء دون الشدة، بخلاف المشركين في زمانه؛ فإنهم يدعون غير الله في الرخاء والشدة جميعاً، وكلتا الدعويين ناشئة عن الجهالة والضلالة، أو إغفال لمن له رشد ونبالة.

توضيح ذلك: أن الاعتقاد عند من يسميه القائل: «مشرِك زمانه» عبارة عن الازعان والتصديق القلبي بالتوحيد والنبوة الخاصة والحشر والنشر وصحة جميع ما جاء به النبي ﷺ من الأمور الاعتقادية القلبية، والتكاليف العملية الفرعية، ومن لم يعتقد بذلك كلاً أم بعضاً فهو كافر، وهذا الاعتقاد كيف صار هو الشرك الذي نزل فيه القرآن، وقاتل رسول الله الناس عليه؟ والشرك النازل في القرآن على ما صرح به هذا القائل هو الشرك في العبادة، ومشركو زمانه لا يعبدون غير الله نبياً كان أو ولياً، ولا يسمّون ما يعملونه من الاستشفاع والتوسل بهم اعتقاداً، فهذه النسبة اليهم إمّا صادرة^(١) عن جهل القائل أو إغفال للسامعين. وأمّا أخفية شرك الأولين عن شرك المشركين في زمان القائل

١- في الأصل: صادر، والصحيح ما أثبتناه.

فكلام لا محصل له دعوى ودليلاً.

توضيح ذلك: أمّا من حيث الدعوى فلإنّ الشرك والكفر ليسا من قبيل السّواد والبياض، فيكونا مشككاً متفاوتاً بالشدة والضعف، وإلى ذلك يشار بقولهم: «الكفر ملة واحدة» ولا ينافي ذلك قوله تعالى ﴿أَشَدَّ كُفْرًا﴾^(١) فإنّ الأشدّية^(٢) هناك من حيث ظهور الآثار لا من حيث كونه مشككاً ولو سلمنا كونه مشككاً، فكون الدعوة في الرّخاء فقط أخف بالنسبة إلى الدعوة في الشدة والرّخاء جميعاً غير معلوم، بل قولهم: «الضرورات تبيح المحذورات» يجعل الدعوة حال الشدة ملحقاً بالعدم فيتساويان.

وهذا التسليم مما شاة منا مع الخصم في نسبة الدعوة إلى المشركين في زمانه، وإلّا فنحن منكرون لكون عملهم دعوة لغير الحق مطلقاً.

وأما عدم المحصل لدليله الذي أقامه على اختصاص دعوة المشركين لغير الله بحال الرّخاء دون الشدة بل إنهم في الشدة يدعون الله فقط، فلأنّ الآية أعني قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ كُفُورًا﴾^(٣) فبيان لأمر

١ - سورة التوبة: الآية ٩٧.

٢ - في الأصل: أشدّية، والصحيح ما أثبتناه.

٣ - سورة الاسراء: الآية ٦٧.

جبليّ للإنسان، فإنه عند الرخاء يتصوّر له أعواناً و أنصاراً من أب وأمّ وقريب وصديق إلى غير ذلك يدعوهم لقضاء حوائجه، وفي الضراء ووقت الاضطراب الذي لا يجد من ذكر أحداً يقدر على كشف كربته، فلا بدّ له من دعوة الله تعالى، وقد صحّ عن المعصوم: أن الذي تنكسر به السفينة في البحر ولا يرى من ينجيه يرى في نفسه وجود من هو قادر على نجاته؛ وهو الله تعالى^(١)، فيكون محصل معنى الآية أن الانسان - لكونه كفوراً عند الاضطراب - يتوجّه إلى الله تعالى دون غيره، وبعد حصول النجاة له عن الضرر والاضطراب نسي تلك الحالة، ورجع إلى الغفلة المعبر عنها بالإعراض عن الله؛ فإن الغفلة عن الله مثل الإعراض عنه تعالى في كونه غير متوجّه إليه.

وبما ذكرنا ظهر أن نسيان ما يدعو به المشركون المشار إليه بقوله تعالى: ﴿وَتَنسَوْنَ مَا تَشْرِكُونَ﴾^(٢) ليس أمراً اختيارياً لهم، بل الضرورة تدعوهم إلى دعوته تعالى فقط، ولازم ذلك نسيان ما يدعو به، فيكون التوجّه منحصرأ في التوجه إليه تعالى دون غيره بغير التفات واختيار؛ لاقتضاء الجبلة، فلا يحمدون بذلك، كما أن

١ - روى في توحيد الصدوق عن الإمام الصادق عليه السلام ما يدلّ على ذلك فراجع ص ٢٢١ منه.

٢ - سورة الأنعام: الآية ٤١.

دعوة الغريق لله تعالى فقط أمر مجبول بغير اختياره، فلا يمدح عليه.

لا يقال: كيف يدعو بغير اختيار مع كونه عاقلاً مختاراً؟
لأننا نقول: إن الأمر المجبول عليه حاكم على الاختيار، بمعنى أنه يحصل من غير المختار؛ فإن امتصاص المولود أول ولادته لما يتغذى به من حلمة الثدي ليس باختيار منه والتفات لكونه بحكم الجهاد، ومع كون المصّ منسوباً إليه.

والحاصل أن ترك دعوة المشركين زمن النبي ﷺ لدعوة غير الله ليس باختيارهم، فلا يحمدون عليه، بل لنا أن نقول: إنهم في الرّخاء يدعون غير الله دائماً ولا يدعون الله في الرّخاء أبداً حتى يصدق أنهم يدعون مع الله أحداً.

وأما قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ﴾^(١) الآية فهي نازلة في عتبة بن ربيعة أو غيره؛ حيث تركوا عبادة الأصنام عند الابتلاء ببليّة، فلما رُفعت عطاء من الله رجعوا إلى ما كانوا فيه من عبادة الأصنام واشتغلوا بالإضلال الذي كانوا عليه، وإن فرضناها عامّة فسيبيلها سبيل الآيات السابقة في كون ذلك ممّا عليه الجبلة.

١ - سورة الزمر: الآية ٨.

وأما الاستدلال بقوله تعالى ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَجٌ كَالظُّلَلِ﴾ الخ
 فإغفال عن المطلب، بإسقاط الآية المقدمة عليها، وإسقاط الذيل
 منها، وتام الآية بنفسها تدل على عدم ارتباطها بمطلوبه المستدل
 له بالآية وهي هكذا: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَةِ
 اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ وَإِذَا
 غَشِيَهُمْ مَوَجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ
 إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾^(١)
 فإنهما كما ترى لا ربط لهما بدعوة المشركين لله في الشدة واختصاص
 ذلك بهم، بل بيان لحال نوع البشر الراكب في الفلك عند الابتلاء
 بهيجان البحر وتهاجم الأمواج الموجبة لانكسار السفينة،
 وحصول الغرق لمن فيها، فإسقاط الآية الأولى وذيل الثانية أوهم
 ارتباط ذلك بمطلوبه، إغفالاً للناظرين.

وعلى هذا فقوله: «فمن فهم هذه المسألة» إلى قوله «تبين له
 الفرق بين شرك أهل زماننا وشرك الأولين» كلام لا محصل له، بل
 يوجب الحيرة والوله، كما أن مقالاته في الأمر الثاني موجبة^(٢)
 لذلك أيضاً، بل أنها لا تصدر^(٣) من وقیح أبله؛ فإن قوله: «الأمر

١- سورة لقمان: الآيتان ٣١-٣٢.

٢- في الأصل: موجب، والصحيح ما ذكرناه.

٣- في الأصل: يصدر، والأنسب ما ذكرناه.

الثاني أن الأولين يدعون مع الله أناساً مقربين عند الله؛ إما نبياً أو ولياً، وإما ملائكة أو يدعون أحجاراً وأخشاباً وأشجاراً مطيعة لله وليست بعاصية، وأهل زماننا يدعون مع الله أناساً من أفسق الناس، والذين يدعونهم هم الذين يحكون عنهم الفجور من الزنا والسرقة، وترك الصلاة وغير ذلك، والذي يعتقد في الصالح والذي لا يعصي مثل الخشب والحجر أهون ممن يعتقد ويشاهد فسقه وفساده ويشهد به» انتهى .

أقول: ليت شعري من المشركون - في زمان هذا القائل - الذين يدعون أناساً من أفسق الناس؟ والكلام من أول المقال إلى هنا متوجهاً إلى المستشفعين بالأنبياء والأولياء عليهم السلام المقربين إلى الله والموجهين عنده تعالى وإلى قبورهم عليهم السلام.

والحاصل أننا لم نعرف، بل لم نعهد من يدعو مع الله أناساً هم أفسق الناس على نحو دعوة المشركين للصلحاء، وما لا يعصى الله، وعلى من يعرفهم بيان أشخاصهم ومقرّهم وأوطانهم، بل حالهم ومسلكتهم؛ لنعرفهم ونقول فيهم ما يستحقون!!

وبالجملة هذا الكلام إما افتراء وتهمة، أو خروج عن البحث تجاهلاً أو بغفلة؛ لأنّ دعوة الناس للفساق في حوائجهم - مثل سلاطين الجور وأتباعهم أو الأعمى يستغيث بكلّ من سمع صوت رجله، فيقول: يا رجلاً خذ بيدي، من دون مبالاة بأوصاف

المستغاث [به] من حيث الكفر والإيمان والفسق والعدالة - ليست تلك الدّعوة المبحوث عنها الموجبة لكون الداعي بها مشركاً بالله تعالى، مع أنّه لا مناسبة بين الأمرين حتّى يلاحظ ما هو أقلّ فساداً وأهون قبحاً منها.

مخادعتك المنحوسة بالله باطله
مخالبك المنكوسة بالحق عاطله
وبينك والحق الذي مسلك الهدى
جبال عنادٍ واللجاجة حائله
أراك بسكر الموت من ألم الأسى
عليك جنود الهم والغم هاطله^(١)

[الفرق بين كفار زمان النبي ﷺ وزماننا]

ثم قال القائل: «فإذا تحققت أنّ الذين قاتلهم رسول الله ﷺ أصحّ عقولاً من هؤلاء فاعلم أنّ هؤلاء شبهة يوردونها على ما ذكرنا وهي من أعظم شبههم فأصغ سمعك لجوابها، وهي أنّهم يقولون: إنّ الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون أن لا إله إلا الله، ويكذبون رسول الله ﷺ، وينكرون البعث، ويكذبون

١ - كذا، والآيات إلى النثر أقرب منها إلى الشعر.

القرآن، ويجعلونه سحراً، ونحن نشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً ﷺ رسول الله، ونصدق القرآن، ونؤمن بالبعث، ونصلي ونصوم، فكيف يجعلوننا مثل أولئك؟

فالجواب أن لا خلاف بين العلماء كلهم أن الرجل إذا صدق رسول الله ﷺ في شيء وكذبه في شيء أنه كافر لم يدخل في الإسلام، وكذلك إذا آمن ببعض القرآن وجحد بعضه كمن أقر بالتوحيد وجحد وجوب الصلاة، أو أقر بالتوحيد والصلاة وجحد وجوب الزكاة، أو أقر بهذا كله وجحد وجوب الصوم، أو أقر بهذا كله وجحد الحج، ولما لم يعتقد أناس في زمن رسول الله ﷺ بالحج^(١) أنزل تعالى فيهم: ﴿وَاللَّهُ عَلَى النَّاسِ حَكُُّ الْبَيْتِ مِنْ اسْتِطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾^(٢) ومن أقر بهذا كله وجحد البعث كفر بالإجماع، وحلّ دمه وماله كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾^(٣) فإذا كان الله قد صرح في كتابه أن

١- في الأصل: الحج، والصواب ما ذكرناه.

٢- سورة آل عمران: الآية ٩٧.

٣- سورة النساء: الآيتان ١٥٠-١٥١.

من آمن ببعض وكفر ببعض فهو كافر حقاً؛ زالت هذه الشبهة، وهذه هي التي ذكرها بعض أهل الإحساء في كتابه الذي أرسل إلينا انتهى.

وخلاصة جوابه عن الشبهة المذكورة بعد تطويل الكلام بما ترى من كفر من أنكر ضروريات الدين أن هؤلاء منكرون للتوحيد الذي هو أعظم من سائر ما يتحقق به الكفر.

أقول: وهذا الجواب يرجع إلى ما أثبتته إلى هنا من أن المستشفعين بالأنبياء والأولياء يدعون مع الله أحداً؛ وهو إنكار التوحيد وإنكار التوحيد هو الشرك الذي في كتاب الله، فقول المعترض بأننا نشهد أن لا إله إلا الله، كذب واعتراف صوري بالتوحيد، ولا نصيب له من التوحيد شيء.

وأنت خير بأن ما يذكره من نسبة إنكار التوحيد إلى مشركي زمانه مع قولهم وشهادتهم بأنه لا إله إلا الله ليس بأولى من أن يقال: إن مقالة المشركين في زمن رسول الله ﷺ بأن هؤلاء شفعاؤنا عند الله كذب وإثبات الشريك لله تعالى ذاتاً في العبادة، وقد استدللنا على إنكارهم التوحيد بقولهم: ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً﴾^(١) إلى غير ذلك فراجع إلى ما قدمنا لك.

١- سورة ص: الآية ٥.

ولنا أن نقول: أنتم الوهابية من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿أَفْتَوْمُنُونَ بَبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾^(١) حيث إنكم تؤمنون بأن التوحيد أن لا يدعو مع الله أحداً، وتكفرون بشفاعه الصالحين من الأنبياء والأولياء، وتقولون إن دعوتهم دعوة غير الله، وقد جعل الله تعالى للمجرمين شفعاء، وأعطى للنبي ﷺ الشفاعة، ومعنى إعطائه الشفاعة أن المستشفعين يلزمهم التماس الشفاعة لهم عند الله، فلا بد لهم من دعوة غير الله للشفاعة عند الله، وأنتم منكرون لذلك فهو منون ببعض وكافرون ببعض، مع أن قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَطْعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾^(٢) بشارة لهم بالكون مع النبيين في الجنة، ولا شك أن أهل العرف والعقلاء معترفون بأن المؤمن الغير المخالف لأحكام الله من الصلاة والحج والزكاة وغير ذلك المستشفع بالنبي ﷺ وأوصيائه عليه السلام، أولياء الله، ومحسوبون في المطيعين لله والرسول ﷺ ولا يصدق عليهم العصي لله والرسول ﷺ فيلزم كونهم مع النبيين والشهداء والصالحين، ولو كان الاستشفاع الصادر منه بالنسبة إلى النبي والولي شركاً لما كان مع النبيين مع

١- سورة البقرة: الآية ٨٥، وفي الأصل: أتؤمنون، والصحيح ما أثبتناه.

٢- سورة النساء: الآية ٦٩. وفي الأصل: فأولئك مع النبيين، والصحيح ما أثبتناه.

كونه مطيعاً لله والرسول ﷺ بحكم العرف والعقلاء، وهذا تكذيب لكلام الله تعالى.

وإن شئت قلت: كما أن العلماء متفقون على كفر من أنكر شيئاً من المذكورات، وجحدها، كذلك العلماء والعقلاء متفقون على أن من اعتقد في قلبه وحدة الله تعالى ذاتاً ووصفاً وفعلاً وعبادة لا يكفر بطلب الشفاعة من الأنبياء والأولياء، مع كونهم وجهاء^(١) عند الله ومأذونين في الشفاعة للمسيئين والمجرمين، ولا يحسبه العقلاء والعلماء ممن يدعو مع الله أحداً، ونسبة ذلك إلى هذا الشخص افتراء وإنكار لبعض الكتاب الجاعل لمن أطاع الله ورسوله مع النبيين والصديقين، ولو كان الشخص من المشركين لم يكن مع النبيين والصديقين الخ، وذلك واضح لمن تبصر واستخبر.

ومما ذكرنا في فساد هذا الجواب يظهر لك ما في قول هذا القائل ما هذا لفظه: «ويقال أيضاً إذا كنت تقر أن من صدق الرسول ﷺ في كل شيء وجوب الصلاة فهو كافر حلال الدم والمال بالإجماع، وكذلك إذا أقر بكل شيء إلا البعث، وكذلك لو جحد وجوب صوم رمضان وكذب بذلك لا يجحد هذا، ولا

١- في الأصل: وجهياً والصحيح ما أثبتناه.

تختلف المذاهب فيه وقد نطق به القرآن كما قدمنا ، فمعلوم أن التوحيد هو أعظم فريضة جاء بها النبي ﷺ وهو أعظم من الصلاة والصوم والحج فكيف إذا جحد الإنسان شيئاً من هذه الأمور كفر ولو عمل بكل ما جاء به الرسول ﷺ ، وإذا جحد التوحيد الذي هو دين الرسل كلهم لا يكفر ، سبحانه الله ما أعظم هذا الجهل ! انتهى .

وحاصل مقاله - بعد انحلاله - أن إنكار التوحيد أعظم من إنكار غيره مما يوجب الكفر ودعوة غير الله معه إنكار للتوحيد ، وهذا هو عمل مشركي زماننا .

أقول : سبحانه الله ما أعظم هذا الجهل أو التجاهل الذي يتعمده هذا القائل في جعل الاستشفاع بالأنبياء والأولياء دعوة لغير الحق ، ووضوح كون ذلك دليلاً على كمال التوحيد كالنار على المنار ، بل كالشمس في رابعة النهار ، وقد سبق منا بيانه فلا نعيد ما بان إعلانه .

يا أيها المجادل ما قلتَ أفترأى دَعُ هذه الخديعة فإنها هباء لا خير في مرامٍ تطلبه بجدٍ كبيت عنكبوت يفسده الهواء

[في قتال أصحاب النبي ﷺ لبني حنيفة]

ثم قال القائل : «ويقال أيضاً هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ

قاتلوا بني حنيفة وقد شهدوا مع النبي ﷺ أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ ويصلون ويؤذنون؛ فإن قال: إنهم يقولون إن مسيلمة نبي قلنا: هذا هو المطلوب إذا كان من رفع مرتبة رجل في مرتبة النبي ﷺ كفر وحلّ دمه وماله ولم تنفعه الشهاداتتان، فكيف بمن رفع شمساً أو يوسف أو صحابياً أو نبياً في مرتبة جبار السماوات والأرض سبحانه الله ما أعظم شأنه: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١) انتهى.

وخلاصة كلامه أن إعلاء مرتبة غير المستحق لمرتبة كفر، فكما أن جعل مسيلمة نبياً في مقابل النبي ﷺ كفر، فكذلك جعل الآلهة مع الله، ودعوة غير الله تعالى كفر بطريق أولى وهذا عمل المشركين في زماننا وفعالهم.

أقول: هذا الكلام من المتكلم به دليل على كمال حمقه وسفهه، وكونه مكابراً مفسداً، وأما دلالة على الحمق والسفه فلأن من قال بنبوة مسيلمة الكذاب فقد كذب رسول الله ﷺ ومن كذبه كذب الله تعالى، والصلاة والشهادتين والأذان لا أثر لها لغير المصدق لله ورسوله.

توضيح ذلك: أن القول بنبوة مسيلمة إنكار لكون

١ - سورة الروم: الآية ٥٩.

رسول الله ﷺ خاتم النبيين، وتكذيب لقول الله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾^(١) و: ﴿وَأَخَاتِمُ النَّبِيِّينَ﴾^(٢) ولقوله ﷺ: «لا نبي بعدي» و«حلال محمد ﷺ حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة» فمقالة أصحاب رسول الله ﷺ هم ليس لرفعهم مرتبة مسيلمة مرتبة النبي ﷺ، بل لتكذيبهم الله ورسوله، وليس في فعل المستشفعين بالأنبياء والأولياء تكذيب لله ورسوله أو رفع مرتبة أحد إلى مرتبة جبار السماوات والأرض.

وأما دلالة على المكر والفساد فلأن الاستشهاد بمقالة أصحاب رسول الله ﷺ لبني حنيفة أتباع مسيلمة يقصد به تهيج أتباع عبد الوهاب على سفك الدماء ونهب أموال المسلمين بعنوان الكفر المحلل للدم، وهذا مكر يوجب الفساد في الأرض، وقد عين الله جزاءه في كتابه الكريم بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(٣) الآية نعوذ بالله من شر الناس التابعين للخناس الذي يوسوس في

١- سورة الفتح: الآية ٢٩.

٢- سورة الأحزاب: الآية ٤٠.

٣- سورة المائدة: الآية ٣٣.

صدور النَّاسِ، وهو الوسواس الَّذي أمر الله تعالى نبيّه الأكرم ﷺ بالاستعاذة من شرّه في آخر سورة من كتابه تعالى، وقد علّمنا بالعقل والنقل الصحيح أنّ للباطل جولة وللحق صولة ودولة: «والله يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» وهو تعالى يعلم من طبع قلبه ويعلم المهتدي العليم من الضالّ الرّجيم.

ثم قال القائل: «ويقال أيضاً الَّذِينَ حَرَقَهُمُ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بِالنَّارِ كُلَّهُمْ يَدْعُونَ الْإِسْلَامَ، وَهُمْ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَتَعَلَّمُوا الْعِلْمَ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَلَكِنْ لَمَّا اعْتَقَدُوا فِي عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْإِعْتِقَادَ بِيُوسُفَ وَشُمُسَانَ وَأَمْثَالَهُمَا، فَكَيْفَ أَجْمَعَ الصَّحَابَةُ عَلَى قَتْلِهِمْ وَكُفْرِهِمْ؟ أَتُظَنُّونَ الصَّحَابَةُ يَكْفُرُونَ الْمُسْلِمِينَ أَمْ تُظَنُّونَ أَنَّ الْإِعْتِقَادَ فِي تَاجٍ وَأَمْثَالِهِ لَا يَضُرُّ وَالْإِعْتِقَادَ فِي عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَكْفُرُ؟» انتهى

وخلاصة مقال هذا السفيه التّويه بما لا يغتر به العاقل النّبيه؛ فإنّ كلمة الغلاة وأفعالهم شرك صريح وهي تسمية عليٍّ عليه السلام إلهاً ودعوتهم أحداً مع الله وحرقتهم وقتلهم وظيفة للصّحابة وجميع المسلمين، ودعواهم الفاسدة^(١) مع تكذيبهم لولي الله الَّذي هو تكذيب لله ورسوله غير مفيد جزماً؛ فإنّ علياً عليه السلام نهاهم عن هذه

١- في الأصل: الفاسد، والصحيح ما أثبتناه.

المقالة فما نفعهم كلامه ﷺ ، فقياس المستشفعين بالأنبياء والأولياء
على الغلاة قياس مع الفارق وتمويه غير لائق .

فعل الصحابة لتكفير بموقعه
وَضَعُ لَأَهْلِ الْحَقِّ لِلْحَقِّ بِمَوْضِعِهِ^(١)
ليس القياس لأعمى بالبصير سوى
إبطال حقّ يبين جهل موقعه

[تكفير العلماء لبني عبد القدامى]

ثم قال القائل : «ويقال أيضاً بنو عبد القدامى الذين ملكوا
المغرب ومصر في زمن بني العباس كلهم يشهدون أن لا إله إلا
الله وأنّ محمداً رسول الله ويدعون الاسلام ويصلّون الجمعة
والجماعة ، فلمّا أظهروا مخالفة الشريعة في أشياء دون ما نحن
فيه ، أجمع العلماء على كفرهم وقتالهم ، وأنّ بلادهم بلاد
حرب ، وغزاهم المسلمون حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلاد
المسلمين» انتهى .

وظهور مراده من هذا الكلام أغنانا عن بيانه وكونه سفسطة
وتمويهاً ظاهراً من عنوانه .

توضيح ذلك أزيد مما هو ظاهر أن الاستدلال بفعل سلاطين الجور، وحكم علمائهم الذين ما تركوا قبيحاً إلا أرتكبهوه كفتوى قضاة زمن سلطنة يزيد بن معاوية لعنه الله بمقاتلة الحسين عليه السلام سيّد الشهداء وخامس أصحاب الكساء عليهم السلام، ومقاتلة معاوية والخوارج لعلي عليه السلام ^(١) بن أبي طالب عليه السلام دليل واضح على بطلانه خصوصاً إذا لم يتعين أن ترك بني القداح للشرعية ومخالفتهم في أشياء كيف كانت هل كان من إنكار بعض ضروريات الدين أو تحليلاً لمحرّماته الضرورية أو غير ذلك فلم يعلم وجه المقاتلة، بل مقاتلة المسلم القاهر الجبار مع المسلمين للأغراض الدنيوية ليست بأوّل قارورة كسرت في الإسلام، بل مقاتلة بعض العرب بعضاً قائلين بأن الغزو كسب النبي صلى الله عليه وآله من القضايا المعروفة.

[أشمول التكفير حتى لمن مزح بكلمة الكفر]

ثم قال القائل: «ويقال أيضاً إذا كان الأولون لم يكفروا إلا جمعوا بين الشرك ^(٢) وتكذيب الرسول والقرآن وإنكار البعث وغير ذلك، فما معنى الباب الذي ذكره العلماء في كل مذهب حكم المرتد بعد إسلامه، وذكروا أنواعاً كثيرة، كلّ نوع منها

١- في الأصل: مع علي والصحيح ما أثبتناه.

٢- كذا.

يكفر ويحلّ دم الرّجل وماله حتى أنّهم ذكروا أشياء يسيرة عند فعلها مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه أو كلمة ذكرها على وجه المزح واللّعب» انتهى .

وحاصل كلامه أنّ الكفر غير منحصر بالشّرك وإنكار الرسول ﷺ والقرآن والبعث؛ لوجود أشياء توجب الارتداد عن الإسلام بمجرد النطق بها ولو من غير عقد القلب عليها .

أقول : ارتباط هذا المطلب بكون المستشفعين بالأنبياء والأولياء كفّاراً ومشركين بنفس الاستشفاع غير معلوم؛ لأنّه إن أراد بذلك إن من جملة ما ذكره العلماء في أنواع الارتداد هو هذا الفعل ، فكذبه أوضح من أن ترى؛ إذ لم يحدث هذا الكلام من أحد قبل الوهابية ، وإن أراد أن فعل هؤلاء المرتدين بالتّنطق بكلمة مزحاً أيسر من فعل هؤلاء المشركين في زمانه فهو عين المدّعى فيكون مصادرة [على] المطلوب .

ولنا أن نقول إنّ التّنطق بكلمة موجبة للارتداد موجب للكفر حقيقة سواء كان مع عقد القلب عليها أو كان مزاحاً؛ لرجوع هذين الفعلين إلى إنكار عظمة الله وجبروته ، وهو تكذيب لله ورسوله ﷺ في إثبات العظمة والجبروت له تعالى .

وأما الاستشفاع بالأنبياء والأولياء ﷺ فنأش عن كمال التصديق بعظمة الله تعالى؛ فإنّ تقديم العبيد المقصرين للشّفعاء

عند الولي دليل على كمال الاعتناء بعظمة المولى وجبروته، وأين هذا من مزاح العبد مع مولاه.

الكفر قد يحصل بالاهانه لاسيما ممن به المهانه
ليس لعبد مزحه لمولاه ولا له ملعبة الرهانه

ثم قال القائل: «ويقال أيضاً الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾^(١) الخ أما سمعت الله كفرهم مع كونهم في زمن النبي ﷺ يجاهدون معه، ويصلون معه ويحججون ويزكّون ويوحدون الله وكذلك في الذين قال الله فيهم: ﴿أَبَاةٍ وَأَيَّاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم^(٢) الخ فهؤلاء الذين صرح الله أنهم كفروا بعد إيمانهم، وهم مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك قالوا كلمة ذكروا أنهم قالوها على وجه المزح واللعب.

فتأمل هذه الشبهة، وهي قولهم: أتكفرون المسلمين أناساً يشهدون أن لا إله إلا الله، ويصلّون ويصومون ويحجّون ثم تأمل في جوابها، فانه أنفع ما في هذه الأوراق انتهى.

١- سورة التوبة: الآية ٧٤.

٢- سورة التوبة: الآية ٦٥-٦٦.

وحاصل مقاله - مع حذف من أماله^(١) - أن الأمور المذكورة دلت على تجويز حصول الكفر بعد الإسلام والإيمان بكلمة الكفر، فلا بأس بتكفير المسلمين الذين هم كفار زماننا بما يصدر منهم بالنسبة إلى الأنبياء والأولياء وقبورهم.

أقول: مضافاً إلى ما عرفت في كلماتنا السابقة من أن الارتداد وحصول الكفر بعد الإيمان أمر لا ينكر، لكن الشأن في بيان سبب حصوله، وفي أن عمل المستشفعين بالأنبياء والأولياء يوجب الارتداد أم لا؟ فإثبات وقوع الارتداد أو تجويز تكفير المسلم بعد الإسلام بما يوجب الارتداد لا يثبت كون عمل هؤلاء ارتداداً. ومراد من يقول: «هل تكفرون المسلمين» أن المسلم الغير الصادر عنه كلمة الردة، لا يجوز تكفيره، لا أن الارتداد عن الإسلام غير ممكن، أو أن تكفير المسلم بعد الارتداد غير جائز حتى تكون الأدلة المذكورة دليلاً على الجواز.

ثم إن الآية نزلت في حق رجل من المنافقين حضر ركباً على حمار ليصد الناس عن غزوة تبوك، وكان ساباً لرسول الله ﷺ، فبلغه ذلك، ولما عاتبه ﷺ على ما قاله حلف على عدم صدور الكلمة الموجبة للكفر منه، فاخبر الله تعالى نبيه ﷺ بكذبه في

حلفه^(١). ومن المعلوم أنّ سبّ النبي ﷺ كفر وأرتداد، وكذلك الاستهزاء بالله وآياته ورسوله ﷺ وكذلك المزاح واللعب مع الله ورسوله، كلّ ذلك موجب للارتداد عن الإسلام كما قدمنا آنفاً نظماً ونثراً.

ثمّ قال القائل: «ومن الدليل على ذلك ما حكى الله تعالى عن بني إسرائيل مع صلاحهم وعلمهم أنّهم قالوا لموسى عليه السلام: ﴿اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة﴾^(٢) وقول أناس من الصحابة: يارسول الله اجعل لنا ذات أنواطٍ كما لهم ذات أنواطٍ، فحلف رسول الله ﷺ أن هذا مثل قول بني إسرائيل لموسى عليه السلام: ﴿اجعل إلهاً كما لهم آلهة﴾^(٣) ولكن للمشرّكين شبهة يدلّون بها عند هذه القصة، وهي أنّهم يقولون: إنّ بني إسرائيل يكفروا، وكذلك الذين سألوا النبي ﷺ أن يجعل لهم ذات أنواط.

فالجواب أن تقول إنّ بني إسرائيل لم يفعلوا، وكذلك الذين سألوا النبي ﷺ، ولا خلاف أنّ بني إسرائيل لو فعلوا ذلك

١- راجع سبب نزول الآية في مجمع البيان، ج ٥، ص ٧٨، ط دار المعرفة بيروت.

٢- سورة الاعراف: الآية ١٣٨.

٣- الصراط المستقيم ٣: ١٠٧، والبحار ٩: ٦٧، والقصة بكاملها في سيرة ابن هشام، ج ٤، ص ٤٤٢، وذات أنواط: هي شجرة كانت تعبدها قريش ويعلّقون عليها التمر وغيره من المأكولات.

لكفروا، وكذلك الَّذِينَ نهاهم النَّبِيُّ ﷺ لو لم يطيعوه وآتخذوا ذات أنواط بعد نهيه لكفروا وهذا هو المطلوب. ولكن هذه القصة تفيد أنَّ المسلم بل العالم قد يقع في أنواع من الشرك لا يدري عنها فتفيد التعلُّم والتحرُّز، ومعرفة أنَّ قول الجاهل: «التَّوْحِيدُ فُهْمْنَاهُ» من أكبر الجهل ومكايد الشيطان، وتفيد أيضاً أنَّ المسلم المجتهد إذا تكلم بكلام الكفر وهو لا يدري فنبه على ذلك وتاب من ساعته أنَّه لا يكفر كما فعل بنو إسرائيل، والَّذِينَ سألوا رسول الله ﷺ تفيد أيضاً أنَّه لو لم يكفر فإنَّه يغلظ عليه الكلام تغليظاً شديداً كما فعل رسول الله ﷺ ﷺ انتهى.

وخلاصة كلامه إثبات مرامه الَّذي هو إمكان صدور كلمة الكفر بعد الإيمان كما صدر من بني إسرائيل حيث قالوا: «يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ» وصدر أيضاً من أصحاب رسول الله ﷺ حيث سألوه جعل ذات أنواط لهم، لكن التعجُّب من هذا القائل من وجهين:

الأول: قوله مع صلاحهم وعلمهم، حيث إنَّه لم يعلم السائلين بأشخاصهم حتى يحكم عليهم بكونهم صالحين عالمين، فهذا الحكم منه تخرَّص بالغيب.

الثاني: في تكذيب موسى بل القرآن بقوله: «مع صلاحهم» فإنَّ قول موسى ﷺ في جوابهم: «إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ إِنَّ هَؤُلَاءِ مَتَّبِعُوا مَا

هُم فِيهِ وَبَاطِلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ^(١) وقوله ﷺ: «أَغْيَرَ اللَّهُ أَبْغِيَكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضْلُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ»^(٢) صريح في كون سؤالهم عن معنى الألوهية الغير القابلة للتعدد وأن هؤلاء القائلين بذلك هالكين بما هم فيه لقوله ﷺ على سبيل التعجب عن سؤالهم: «أَغْيَرَ اللَّهُ أَبْغِيَكُمْ إِلَهًا» مع أنه فضلهم على سائر الناس، فلا ينبغي هذا السؤال عن مثلكم.

وحلف رسول الله ﷺ أن هذا مثل قول بني إسرائيل معناه أن سؤالكم عن الجهل، وهذا سؤال عجيب منكم، وجواب هذا القائل عن شبهة المشركين في زمانه واصطلاحه أعجب مما تقدم، فإن شبهته تخطئة في الاستدلال بأمر غير واقع، مع كفاية ما ذكر من الواقعيات في إثبات مطلوبه، بل المطلب مهم وليس بأمر قابل للانكار، فمع كفاية الآيات المذكورة لاجابة إلى دليل ليس له دلالة على المطلوب.

والجواب بأنهم لو فعلوا كفروا غير صحيح؛ لأنه لو لم يكن ذلك أعني الارتداد بعد الإيمان مسلماً، ولم تكن الآيات دالة عليه لم يكن هذا الأمر التعليقي أعني لو فعلوا كفروا مع سؤالهم من موسى جعل الآلهة أو من رسول الله ﷺ ذات أنواط دليلاً على أنهم

١- سورة الأعراف: الآيتان ١٣٨ - ١٣٩.

٢- سورة الأعراف: الآية ١٤٠.

كانوا معتقدين بإمكان ذلك للنبيين لا غير، وأن هؤلاء الآلهة كان
 يجعل نبيهم فإن [ولو خل] لم يكونوا معتقدين لما كانوا يسألون
 وكانوا يفعلون مطلوبهم لقدرتهم عليه وعدم الحاجة إلى الغير.
 وأمّا الفوائد التي ذكروها لها تين القصتين فأباطيل لا يصلح ولا
 يليق التعرض لها كما لا يخفى على الناقد البصير، بل على من له تمييز
 قصير، بل لم يكن ما كتبه من أول الأوراق إلى هنا لا ثِقاً للجواب
 وبيان بعده عن الصواب، وكانت^(١) كلها أباطيل لا يستحق
 التعرض لها باختصار أو التطويل، وبالإجمال أو التفصيل،
 ولكنّا تعرّضنا لجوابها رفعاً لتوهم الجهال صحة المقال أو توجه
 الاشكال، ورجاء لتنبيه صاحب المقال عما عليه من الضلال، والله
 المتعال الموفق لحسن العاقبة والمآل.

[إنكار النبي على أسامة]

ثم قال القائل: «وللمشركين شبهة أخرى؛ وهي أنهم يقولون
 إنّ النبي ﷺ أنكر على أسامة قتل من قال لا إله إلا الله، وقال:
 «أقتله بعد ما قال لا إله إلا الله؟»^(٢) وكذلك قوله ﷺ: «أمرت أن
 أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله»^(٣) وكذلك أحاديث أخرى

١- في الأصل: كان، والأنسب ما ذكرناه.

٢- البحار ٢١: ٦٥/١٢.

٣- البحار ٨: ٣٦٨/٤١.

في الكف عمّن قال: لا إله إلا الله ومراد هؤلاء الجهلة أن من قالها لا يكفر ولا يقتل ولو فعل ما فعل، فيقال لهؤلاء: الجهال معلوم أن أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويصلون ويدعون الإسلام، وكذلك الذين حرّقهم عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه بالنار وهؤلاء الجهلة مقرّون أن من أنكر البعث كفر وقتل ولو قال لا إله إلا الله، وأن من أنكر شيئاً من أركان الإسلام كفر وقتل ولو قال: لا إله إلا الله، فكيف لا تنفعه إذا جحد شيئاً من الفروع وتنفعه إذا جحد التوحيد الذي أساس دين الرسل ورأسه.

ولكن أعداء الله ما فهموا معنى الأحاديث، فأما حديث أسامة فإنه قتل رجلاً ادّعى الإسلام بسبب أنه ظن أنه ما أدّعه إلا خوفاً على دمه وماله، والرجل إذا أظهر الإسلام وجب الكف عنه حتى يتبين منه ما يخالف ذلك وأنزل الله في ذلك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾^(١) الآية فالآية تدل على أنه يجب الكف عنه والتثبت، فإن تبين منه بعد ذلك ما يخالف الإسلام قتل لقوله تعالى: ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ ولو كان لا يقتل إذا قالها لم يكن للتثبت معنى.

١- سورة النساء: الآية ٩٤.

وكذلك الأحاديث الأخر وأمثالها فمعناها ما ذكرناه من أن من أظهر الإسلام والتوحيد وجب الكف عنه إلا أن يتبين منه ما يناقض ذلك، والدليل على هذا أن رسول الله ﷺ الذي قال: «أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله»^(١) وقال «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله»^(٢) هو الذي قال في الخوارج: «أينما لقيتموهم فاقتلوهم لأن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد»^(٣) مع كونهم من أكثر الناس عبادة وتهليلاً، حتى أن الصحابة يحقرون أنفسهم عندهم وهم تعلموا العلم من الصحابة، فلم تنفعهم لا إله إلا الله، ولا كثرة العبادة، ولا أدعاء الإسلام لما ظهر منهم مخالفة الشريعة، وكذلك ما ذكرنا من قتال اليهود وقاتل الصحابة بني حنيفة، وكذلك أراد ﷺ أن يغزو بني المصطلق لما أخبره رجل أنهم منعوا الزكاة حتى أنزل الله: «يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا»^(٤) الآية وكان الرجل كاذباً عليهم، فكل هذا يدل أن مراد النبي ﷺ بالأحاديث الواردة ما ذكرناه» انتهى.

١- البحار ٢١: ٦٥/ ١٢.

٢- البحار ٨: ٣٦٨/ ٤١.

٣- البحار ٣٣: ١٣٣/ ٥٧٦، كشف الغمّة ١: ١٢٩.

٤- سورة الحجرات: الآية ٦.

وخلاصة مرامه الذي عليه وزر آثامه أن المشركين في زمان
 هذا القائل لهم شبهة أخرى؛ وهي أنهم استفادوا من اعتراض
 النبي ﷺ على أسامة بقتله من قال: لا إله إلا الله، وقوله ﷺ: «أمرت
 أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله» وغير ذلك من
 الأحاديث أن قول: لا إله إلا الله مانع عن القتل والكفر، ولو فعل
 ما فعل فاعترض على ما استفادوا - بزعمه الفاسد ورأيه الكاسد -
 بما ذكره سابقاً من قتل أصحاب رسول الله ﷺ بني حنيفة القائلين
 لا إله إلا الله محمد رسول الله، وهم يدعون الإسلام، وكذلك حرق
 علي بن أبي طالب القائلين بهذا القول، فلا معنى للشبهة، مع
 أنهم يكفرون منكر البعث وضروريات الإسلام، وإن قالوا هذه
 الكلمات، ثم فرّع على ذلك أن إنكار التوحيد أشد من إنكار البعث
 والضروريات، وغرضه من هذا الكلام أن المشركين في زمانه
 منكرون للتوحيد وإن نطق بلا إله إلا الله؛ إذ لا منافاة بين هذه
 الكلمة والكفر.

هذا ملخص كلامه جواباً وتفريعاً لاستنتاج مطلوبه، وأنت
 خير بأن ما استفاده من مقالة اعتراض الرسول ﷺ على أسامة
 وقوله ﷺ: «أمرت أن أقاتلكم حتى تقولوا لا إله إلا الله» غلط
 فاحش لم يختلج ببال المناقش؛ فإن قوله: «ومراد هؤلاء الجهلة
 أن من قالها لا يكفر ولا يقتل، ولو فعل ما فعل» مناقض لقوله:

«وهؤلاء مقرون أن من أنكر البعث كفر وقتل ولو قال لا إله إلا الله» وليت شعري كيف يمكن الجمع بين القول بأن من قال: لا إله إلا الله لا يكفر ولا يقتل، ولو فعل ما فعل، وبين الإقرار بأن منكر البعث وأركان الإسلام كافر يجب قتله وإن قال لا إله إلا الله وكيف يمكن بين الجمع أن يقول إن كلمة لا إله إلا الله لا تنفع في منع القتل عن منكر الفروع فيقتل وإن قال: لا إله إلا الله ولكن تنفع في نفي التوحيد، فلا يقتل منكره بعد قول لا إله إلا الله، وأيضاً كيف يتصور إنكار التوحيد ممن يقول لا إله إلا الله فإن الاستفادة من هذه الكلمات إثبات التوحيد لا نفيه وإنكاره.

والجمع بأنه بالقول اللفظي يثبت وهو في قلبه منكر إما تخرّص بالغيب أو ينتهي إلى دعوى علم الغيب؛ فإن ثبوت التوحيد بهذه الكلمة معلوم، ولا بد لمن يدّعي إنكاره القلبي أن يستدل بما يكشف عن ذلك فعلاً أو قولاً، والإنكار القولي مفروض عدمه ولا كاشف عن الإنكار القلبي في الأفعال الخارجية عن القول، فينحصر في دعوى علم الغيب إما مطلقاً؛ فيكذبه الوجدان أو الخصوص من هذا المطلب؛ فيكون دعوى بلا دليل وتخرصاً بالغيب. فإن قلت: دعوتهم لغير الله شرك وهو أمر ظاهر.

قلت: هذا غلط لأن دعوة غير الله شرك إن لم يرجع إلى دعوة الله الحق، وهو مناف لقول لا إله إلا الله إن لم يؤل أمره إلى دعوة الله

تعالى وإثبات ذلك بالنسبة إلى من يعدّه مشرك زمانه أوّل الكلام، وأمر لم يدل عليه دليل عقلي ولا نقلي، وكلّما ذكره القائل سابقاً كان مصادرة على المطلوب كما أشرنا إليه مراراً.

ومن أقبح القبائح وأفصح الفضائح ما أرتكبه هذا القائل في قوله: «وللمشركين شبهة أخرى» من حيث نسبة الشرك إلى علماء المسلمين ثم نسبة الجهل إليهم بقوله: «فيقال لهؤلاء الجاهل» ثم نسبة العداوة لله إليهم بقوله: «فإن أعداء الله لم يفهموا معنى الأحاديث».

توضيح ذلك أنّ نسبة الشرك بزعمه الفاسد إنّما هو لدعوتهم لغير الله تعالى، ونسبة الجهل إليهم حسب اعتقاده الكاسد إنّما هو لزعمه عدم فهمهم معنى الأحاديث فتبقى^(١) نسبة عداوة الله إليهم من غير دليل يوجبها، فلا محمل لهذه النسبة إلاّ العناد واللجاج والعدواة معهم الموروثة^(٢) من جعل الاستشفاع بالأنبياء والأولياء دعوة لغير الحقّ الموجهة للشرك وعدم فهم معنى الأحاديث الذي نسبها^(٣) إليهم كيف يمكن تصديقه مع أنّ عامّي أهل اللسان يعرفه، بل لا يمكن أن لا يفهمه من له أنس بلسان

١- في الأصل: فيبقى، والصحيح ما أثبتناه.

٢- في الأصل: المورثة، والصحيح ما أثبتناه.

٣- في الأصل نسبة، والصحيح ما أثبتناه.

العرب، وليس ذلك كله كاشفاً عن جهل القائل وقوله^(١) بهوى نفسه ومرض في قلبه. فزاده الله مرضاً وله عذاب عظيم، وكيف لا يكون كذلك مع أن التوبيخ المستفاد من قوله ﷺ: «أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله» دالٌّ على تركه ما كان يجب فعله وهو التبين والتثبت، بل قوله ﷺ في القصة «هل شققت قلبه؟» كناية عن أن عدم التبين وحمل قوله لا إله إلا الله على الخوف على دمه وماله فعل غير لائق، وترك لما يجب فعله، وليس هذا معنى لا يفهمه الجاهلون فضلاً عن العلماء، وهذا دليل على أنهم لم يقولوا ولا يقولون أن من قال: لا إله إلا الله لا يقتل ولا يكفر، وإن فعل ما فعل، فهذه النسبة إليهم كذب وأفتراء وبهتان واجترأ ونقول: اللهم سبحانه هذا بهتان عظيم^(٢) لكن هذا القائل لما لم يفهم تقريب الشبهة وقع في الضيق والحيص والبيص، ولم يدر ما يقول، ونحن نقرر الشبهة، حتى يعلم مراد العلماء.

وحاصله أن رسول الله ﷺ عاتب أسامة ووبّخه على ترك ما يجب فعله من التثبت على القائل بكلمة لا إله إلا الله، والمصارعة إلى قتله بزعم كون قوله ذلك للخوف على دمه وماله، ومثل هذا وارد على الوهابية المقاتلين للقائلين بهذه الكلمة من غير تثبت لما

١- كذا.

٢- سورة النور: الآية ١٦.

يجوز تكفيرهم ونسبة الشرك إليهم .

وبعبارة أخرى كما كان قتل من قال لا إله إلا الله قبحاً فعله أسامة فكذلك نسبة الكفر والشرك إلى المستشفعين بالأنبياء والأولياء عليهم السلام القائلين بهذه الكلمة قبيح يفعله الوهابية في الواقع ونفس الأمر لم يفهم هذا القائل الكاتب للأوراق مراده من وجه الشبهة عليهم .

والحاصل أن هذا القائل بأن من قال : لا إله إلا الله لا يجوز ترتيب آثار الكفر عليه إلا بعد التبين كما هو مدلول الآية بقوله : «إِنَّ مِنْ أَظْهَرِ الْإِسْلَامِ وَالْتَوْحِيدِ وَجِبَ الْكَفِّ عَنْهُ إِلَى إِنْ يَتَبَيَّنَ مَا يِنَاقِضُهُ» أَعْتَرَفَ بِقُبْحِ الْحُكْمِ بِالشَّرْكِ لِكُلِّ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي زَمَانِهِمْ إِلَّا بَعْدَ التَّبَيُّنِ وَالتَّثَبُّتِ ، وَالْعِلْمُ بِمَا يَوْجِبُ كَوْنَ الْقَائِلِ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ مُرْتَدًّا عَنِ الْإِسْلَامِ ، وَلَيْسَ أَمْرُهُؤَلَاءِ كَذَلِكَ بَيِّنًا ؛ لِعَدَمِ مَا يَوْجِبُ ارْتِدَادَ الْمُسْتَشْفِعِينَ فِي زَمَنِهِ إِلَّا دَعْوَى كَوْنِ الْإِسْتِشْفَاعِ دَعْوَةً مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ، وَقَدْ مَنَعْنَاهَا ، بَلْ أَثْبَتْنَا كَوْنَ نَفْسِ الْإِسْتِشْفَاعِ دَعْوَةً لِلَّهِ تَعَالَى .

وظهر مما ذكرنا أن قوله : «والدليل على هذا (يعني وجوب الكف عمن أظهر الإسلام إلى أن يظهر ما يناقضه) أن رسول الله ﷺ قال (يعني لأسامة) : «أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله» وقال ﷺ «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله» هو

الذي قال في الخوارج: «أينما لقيتموهم فاقتلوهم» إلى آخر كلامه؛ أعني قوله: «لَمَّا ظهر منهم مخالفة الشريعة» تطويل بلا طائل وأستدلال بلا حاصل يظهر وجهه من أواخر كلماتنا والأوائل. ثم إنَّ هذا القائل جعل ظهور كفر الخوارج بمخالفة الشريعة للإغفال وتتميم الاستدلال من دون أن يتبيّن مخالفتهم التي وقعت منهم؛ لأنّه علم أن بيان مخالفتهم موجب لإفحامه وإذعانه ببطلان أستدلّاله بل كلّ ما جاء به.

بيان ذلك أن مخالفة الخوارج لعليّ بن أبي طالب عليه السلام إنّما صارت بسبب قبوله الحكم في وقعة صفين، فقالوا: لا حكم إلاّ لله، ونسبوا فعل عليّ عليه السلام إلى الخطأ، وحكموا بوجوب قتاله، ولما كانت هذه المخالفة ناشئة عن تفسيرهم القرآن برأيهم، وعدم معرفتهم معنى قوله تعالى: ﴿الحكم لله العليّ﴾^(١) وقعوا^(٢) بذلك في الكفر العظيم وهو الخروج على إمام زمانهم بالسيف وصاروا كفّاراً كفرهم رسول الله صلى الله عليه وآله وأمر بقتلهم، وقال: «لأقتلنهم» الخ.

وكلّ من علم هذه القصة رأى بعين الإنصاف أن فعل الوهابية هو فعل الخوارج سواء بسواء؛ حيث إنهم فسّروا قول الله تعالى:

١ - سورة غافر: الآية ١٢، وفيها: فالحكم.

٢ - في الأصل: فوقعوا والصحيح ما أثبتناه.

﴿فلا تدعوا مع الله أحداً﴾^(١) حسب رأيهم الفاسد ونظرهم الكاسد، وهوى أنفسهم، وميلهم إلى القتال، ونهب أموال الناس، واستحلال نسائهم، وسبي ذراريهم كفعل فرعون في بني إسرائيل، وقالوا: إن الاستشفاع بالأنبياء والأولياء داخل في معنى دعوة غير الله، وجعلوا ذلك كفراً وشركاً مبيحاً للدم والمال والعرض، وهو مخالفة واضحة لواقع معنى القرآن، فيمكن إلحاقهم بالخوارج بما يفعلون.

بل ويمكن دعوى شمول قول رسول الله ﷺ بالنسبة إلى الخوارج للوهابية بالمناط القطعي؛ وهو مخالفة الشريعة بتفسير القرآن بالرأي، وترتيب الآثار على رأيهم المخالف لقول إمام الزمان عليه السلام.

وبما ذكرنا ظهر أيضاً فساد قوله: «وكذلك ما ذكرنا من قتال اليهود والصحابة لبني حنيفة» إلى آخر كلامه الذي قال فيه «إن مراد النبي ﷺ من الأحاديث ما ذكرناه» ولا حاجة إلى تكراره وذكره، فإن ذكر القبيح قبيح، ولعمري أنه وقبح.

بَنَيْتَ بَيْتاً بِلَا أُسَاسٍ وَقِسْتَ حَكْماً بِلَا مِقْيَاسٍ
مَا حَزَتْ مِنْ ذَا شَيْئاً سِوَى أَنْ جَمَعْتَ جَمْعاً شَرَّ أَنْسَابِ

١ - سورة الجن: الآية ١٨ وفي الأصل: لا، والصحيح ما أثبتناه.

غداً تنادي باليتني كنت تراباً وواثبوراً من الوسواس^(١)

[في بيان أن الناس يوم القيامة يستشفعون بالنبي ﷺ]
ثم قال القائل: «ولهم شبهة أخرى؛ وهي ما ذكر النبي ﷺ أن
الناس يوم القيامة يستغيثون بآدم ثم بنوح ثم بإبراهيم، ثم
بموسى، ثم بعيسى، فكلهم يعتذرون حتى ينتهوا إلى
رسول الله ﷺ.

قالوا: فهذا يدل على أن الاستغاثة بغير الله ليست بشرك.
فالجواب أن تقول: سبحان من طبع على قلوب أعدائه، فإن
الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه لا ننكرها كما قال تعالى:
﴿فَاسْتَغَاثُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾^(٢) وكما يستغيث
الإنسان بأصحابه في الحرب وغيره في الأشياء التي يقدر عليها
المخلوق، ونحن أنكرنا استغاثة العباد التي يفعلونها عند قبور
الأولياء وفي غيبتهم في الأشياء التي لا يقدر عليها إلا الله.

إذا ثبت ذلك فلاستغاثة بالأنبياء يوم القيامة يريدون منهم
أن يدعوا الله أن يحاسب الناس حتى يستريح أهل الجنة من
كرب الموقف، وهذا جائز في الدنيا والآخرة أن تأتي عند رجل

١- كذا، والأبيات جميعها غير مستقيمة الوزن كما هو الحال في أكثر أبيات الكتاب.

٢- سورة القصص: الآية ١٥.

صالح حتى يجالسك ويسمع كلامك تقول له : أدع لي كما كان أصحاب رسول الله يسألونه في حياته ، وأما بعد موته فحاشا وكلاً أنهم سألوه ذلك عند قبره ، بل أنكر السلف على من قصد دعاء الله عند قبره ، فكيف بدعائه نفسه» انتهى .

أقول: لما كان من شأن الباطل أن يظهر بطلانه وفساده بنفسه ، وقع القائل في مقام اعتراف ببطلان ما أثبتته من أوّل الأوراق إلى هنا من حيث لا يحتسب ولا يشعر .

توضيح ذلك : أنه من أوّل كلامه المذكور في هذه الأوراق كانت استدلالاته متوجهة إلى أن الاستشفاع دعوة لغير الله ، وقد قال الله تعالى : ﴿ لا تدعوا مع الله أحداً ﴾ والشفاعة كلها لله ، فلا بد أن يقول الموحد : اللهم لا تحرمني شفاعته النبي ﷺ أو شفّعه في ، وكذلك الاستغاثة والتوجه بغير الله تعالى دعوة مع الله أحداً ، وفي الجواب عن هذه الشبهة اعتراف ببطلان ذلك الكلام ، واعتراف بأن الاستشفاع في أيام حياتهم وفي القيامة والمحشر غير منكر عندهم ، بل المنكر التوجه إلى الأنبياء والأولياء والاستشفاع والاستغاثة بهم عند قبورهم .

وعلى هذا فالتعجب الظاهر من قوله : «سبحان الله من طبع على قلوب أعداء الله؛ فإن الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه لانكرها» الخ مع إطلاق كلماته السابقة الشامل لكل توجه إلى غير

الله، بل تصرّحه بالكفر في خصوص الاستشفاع أيضاً ينبغي أن يتعجب من قوله: «ونحن أنكرنا أستغاثة العباد التي يفعلونها عند قبور الأولياء وفي غيبتهم في الأشياء التي لا يقدر عليها إلا الله» فإنه يدل على أن مراده من دعوة غير الله والدعوة مع الله هو هذه الاستغاثة التي ذكرها هنا، ومع عدم ذكر ذلك ينسب المخالف له إلى كونه مطبوع القلب من الله تعالى مع أن نسبة العداوة لله تعالى إلى الفاعل لهذه الاستغاثة تدلّ على كمال العناد مع الحق، فإن هذا العمل على تقدير تسليم كونه على خلاف العقل - يصير عملاً لغواً لا أنه يوجب الشرك والكفر، ولا يجعل فاعله عدواً لله، يعرف ذلك كل عارف بطريق المحاورة وأساليب المخاطبة والمحاضرة.

وبالجملة خلاصة كلام القائل بعد إنكار كلماته السابقة أن بشفاعة الأنبياء يوم القيامة للاستراحة من كرب الموقف، فيجوز الاستشفاع بهم هناك وفي زمان حياتهم، كما أن التماس الدعاء من الصالحين المجالسين معك السامعين لكلامك جائز لا بأس به، وأصحاب رسول الله ﷺ في حياته كانوا يسألونه حاجاتهم، وأما بعد مماته فلم يصدر منهم ذلك، والسلف من العلماء والأكابر أنكروا على من قصد دعاء الله عند قبره ﷺ فضلاً عن دعائه بنفسه.

والجواب عن هذا المقال المزخرف والضعيف المضعف من

وجوه نبينها ونوضحها بعد التنبيه على أنحصار الدعوى فيما أجمعنا بيانه وتفصيله - أن هذا القائل كان يدعي من أول كلامه إلى هنا أن الاستغاثة والاستشفاع بغير الله والتوجه إلى غيره تعالى شرك وكفر؛ لكونه دعوة أحد مع الله وكون الاستشفاع بغير الله الحق شركاً؛ لكونه فعل المشركين في زمن النبي ﷺ القائلين بأن هؤلاء شفعاؤنا عند الله، وهنا في جواب هذه الشبهة أنكر جميع الدعوى السابقة، وأعترف بجواز الاستغاثة والاستشفاع في الدنيا والآخرة بالنسبة إلى الأحياء، فأنحصر الإنكار فيما يفعله المستشفع عند قبورهم، وظهر من آخر كلامه أن دعوة الله تعالى عند قبورهم منكر فضلاً عن دعوتهم عندها، وحينئذ فيتلخص للقائل دعويان:

أحدهما: أن دعوة الله عند قبور الأنبياء والأولياء كفر وشرك. وثانيهما: أن دعوتهم عند قبورهم كذلك شرك وكفر، ولنا أولاً السؤال عن دعوة الله التي إذا كانت عند غير قبورهم فليس بمنكر؛ لعدم كونها شركاً، وإذا كانت عند غير قبورهم تصير شركاً وكفراً هل هي إلا من قبيل الصلاة والاعتكاف والتكبير والتهليل والتنزيه والتقديس والمناجاة وطلب المغفرة والقرب والإخلاص في العمل أو حاجة دنيوية إلى غير ذلك.

وثانياً: المطالبة بدليل كون تلك الدعوة شركاً وكفراً، فإننا

لا تتعلّق مقصودهم من دعوة الله التي تكون شركاً وكفراً هل هي الأعمال العبادية، أو هي طلب الأمور المذكورة؛ فإن كان من قبيل الأوّل فالقرآن ناطق بجواز فعلها في غير المكان المغصوب في قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾^(١) فإنّها تدلّ على الإنكار والتوبيخ على الناهي عن الصلاة في أيّ مكان تكون، وكذا قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾^(٢) تدلّ على جواز الذكر والتسبيح والتقديس في كلّ مكان، واستثناء المكان المغصوب لا ينافي جواز ذلك عند قبور الأولياء، وكذا ما دلّ على جواز قراءة القرآن للمؤمنين عند قبورهم، فكيف يتصوّر أن يكون كلّ ذلك شركاً وكفراً.

وأما المناجاة وطلب حاجة دنيوية أو أخروية من الله تعالى عند قبورهم، فمن حيث توقف الطلب على التوجه إلى من يطلب منه الحاجة^(٣) يصدق عليه ذكر الله، وطلب الحاجة بعد التوجه إليه تعالى قهري؛ لعلمه والتفاتة في تلك الحالة إلى أنه لا يلتجئ المخلوق إلّا إلى خالقه، ولا يذهب العبد فيما يريد إلّا إلى مولاه، فكيف يكون ذلك شركاً وكفراً.

١- سورة العلق: الآيتان: ٩ - ١٠.

٢- سورة الأحزاب: الآيتان ٤١ - ٤٢.

٣- في «س»: الحاجة منه.

وحينئذٍ فنطالب القائل بدليل إنكار دعوة الله عند قبور الأنبياء والأولياء وجعلها شركاً وكفراً؛ فإن قال في الجواب: إنَّ قصد الدّاعي لله مزية دعوة الله فيها على غيرها من الأمكنة كفر وشرك؛ طالبناه بدليل كون اعتقاد المزية وقصدها كفراً وشركاً مع أنَّ الاعتقاد بعد حصول موجه أمر غير اختياري؛ ومع وجود موجه من الدليل العقلي والنقلي المعتمد كالكتاب والسنة كيف يمكن الإغماض عنه؟ وكيف يقدر أحد ممّن له عقل سليم أن يمنع العمل بالعلم والاعتقاد القطعي؟ وكيف يمكن لأحد أن يمنع مشاهد الأسد مقبلاً عليه من الفرار منه، أو من يرى محبوبه متوجّهاً نحوه أن يمنعه من استقباله.

وبالجملة وجود موجبات الاعتقاد بالمزية عقلياً كان أو نقلياً يوجب وجوده قهراً، ولا ربط لهذا الاعتقاد بجعل الشريك له تعالى، بل إنه يؤكد الإخلاص والتوحيد من حيث الإقدام على العمل الزائد تقربه إلى الله لفضل محله على محل آخر، فكما أنَّ الصلاة في المسجد لمزية له على سائر الأمكنة توجب تأكيد الإخلاص، فكذلك قبور الأنبياء والأولياء لدى من اعتقد لها مزيد فضل على سائر الأمكنة؛ وهو كذلك لقوله تعالى: ﴿فِي بَيْوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ﴾^(١) بالتقريب المتقدّم

١ - سورة النور: الآية ٣٦.

ذكره فلا نعيد .

وبالجملة الأدلة الدالة على شرافة قبورهم ، وحسن التوسّل
بشرافتها كثيرة لسنا بصدد تعدادها؛ لوضوحها حتى عند الوهابية
المتعمّدين للاغماض عنها ، وكيف لا يكون كذلك وأكبر الخلفاء
الراشدين الصديق وتاليه الفاروق استشفرا بشرافة جوار المرقد
المطهر النبوي ﷺ ، والإمام المجتبي الممتحن الحسن بن علي عليه السلام
أراد التشرف بهذه الشرافة ، فأوصى بما أوصى ، ولكن مُنع من
ذلك ولولا وصيته لإخوته وأصحابه بالصبر لسفكت الدماء بالمنع
عن دفنه عند جده لتحصيل تلك الشرافة ، بل يجب أن يكون
كذلك لحصول الشرافة بالاضافة ، فكما أن بيت الله شريف ،
والمساجد كلّها مشرفة بإضافتها إلى الله ، وكذلك جلد القرآن
وحواشي صفحاته الخالية من كتابة كلام الله محترمة يجب
احترامها ، فكذلك قبور الأنبياء والأولياء مشرفة بالإضافة إليه
تعالى ، فيقال قبر نبي الله ، وقبر ولي الله ، وقبور عباد الله الصالحين ،
وكما أن سقف المسجد إلى فرشه متشرف بشرافة إضافته إلى
المسجد الذي هو بيت الله فكذلك البنيان والقباب المبنية على
قبورهم ﷺ متشرفة بالانتساب والاضافة إليهم ﷺ فالسلوك
معها سلوك سائر الأماكن ، بل أدون من ذلك بالفتوى بلزوم هتكها
أو هدمها دون بيوت جبابرتهم ورؤسائهم لا يصدر إلا من جاهل

غبيّ أو معاند غويّ.

والعجب من هذا القائل حيث قال: «وانكر السلف على من قصد دعاء الله عند قبره فكيف بدعائه نفسه ﷺ» ولم يعين السلف الذي أنكر دعاء الله عند قبر رسول الله ﷺ؛ فإن أصحاب رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدين لم ينكروا ذلك، بل كانوا هم يعملون هذا العمل.

فإن قلت: كانوا يدعون الله في مسجد النبي ﷺ لا عند قبره. قلت: لم يكن قبر النبي ﷺ ابتداءً داخلًا في المسجد، وإنما حدث ذلك بعد مدة مديدة، وأصحاب الرسول ﷺ كانوا يتشرفون ويزورون قبر النبي ﷺ، والحسن بن علي عليه السلام استشفى مراراً عن السم الذي سقوه بالقبر المطهر، والحسين بن علي عليه السلام بات عند القبر ليلة الوداع معه للمsafرة إلى مكة في السفر الأخير الذي أرتحل منها إلى العراق فأصابته الشهادة، مضافاً إلى أن التابعين وتابعي التابعين كانوا يعملون هذه المعاملة بعد صيرورة القبر المطهر داخلًا في المسجد بقرب المرقد الشريف طلباً للفضل، واستمرت العادة على ذلك خلفاً عن سلف، بل من لم يدرك هذا الفضل توارد عليه الأسف بعد الأسف^(١).

١- في الأصل: أسف، والصحيح ما ذكرناه.

والحاصل: أنه لا ينكر دعوة الله تعالى عند قبر النبي ﷺ إلا مجادل محجوج أو معاند مجنون لجوج، مضافاً إلى أن قوله ﷺ: «بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة»^(١) إرشاد للمسلمين إلى دعوة الله تعالى في ذلك المكان الشريف.

هذا [تمام] ^(٢) الكلام في دعاء الله تعالى عند قبورهم ﷺ. وأما دعاؤهم عند قبورهم فلم يدل دليل على المنع منه أو ثبوت الكفر والشرك به لا من جهة أن ذلك دعوة غير الله تعالى، أو أنه دعوة مع الله أحداً ولا من جهة أنهم أموات لا يسمعون ولا يفهمون كلام من يدعوهم ويخاطبهم.

أما عدم كون دعوتهم دعوة لغير الله سواء كان للأُمُور الدنيوية أو الآخروية [ف] لأن من شهد أن محمداً ﷺ عبد الله ورسوله، والعبد: «لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ»^(٣) لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، كيف يمكن أن يطلب منه شيئاً لا يقدر عليه، بل إنه يطلب منه ما أعطاه مولاه ومملكه سيّده؛ وهو الشفاعة، فالداعي عند قبره يدعو الله تعالى ﷻ بتوسط الشفيع ومصاحباً له، وبالاستشفاع يؤكد الطلب

١- فروع الكافي ٤: ٥٥٣.

٢- في «ع»: كله.

٣- سورة النحل: الآية ٧٦.

من الحقّ وهو تكثير للخضوع والتضرع، مضافاً إلى ما صَحَّ من تفسير قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾^(١) برسول الله ﷺ وخلفائه، وأوصيائه عليه السلام، فيكون ذلك دعوة لله تعالى، وإطاعة للقرآن، كما أن قوله: ﴿فَتَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾^(٢) الخ مفسر بأسمائهم الشريفة المكتوبة على ساق العرش. وأيضاً يدل عليه على ذلك ما هو المتعارف^(٣) المعهود بين الناس بل عليه جبلة العقلاء من استشفاع المقصرين عند أولي الأمر عليهم بالمقربين عندهم، بل لا ينحصر ذلك في مورد العفو عن التقصير، وأنهم يعلمون ذلك في مقام طلب الحوائج منهم أيّاً ما كانت، وكما أن استغاثة المخلوق بالمخلوق في أمور يقدرون عليها^(٤) ليس دعوة لغير الله معه تعالى، فكذلك الاستشفاع بهم عند قبورهم عليه السلام ليس دعوة لغير الله، ولا دعوة مع الله أحداً؛ لكونه طلباً من الله مصاحباً للشفيع.

وقد ظهر ممّا ذكرنا أن قول القائل: «نحن أنكرنا الاستغاثة والعبادة التي يفعلونها عند قبور الأولياء وفي غيبتهم في الأشياء

١- سورة الأعراف: الآية ١٨٠.

٢- سورة البقرة: الآية ٣٧.

٣- في «ع»: المرسوم.

٤- في الأصل: عليه، والصحيح ما أثبتناه.

التي لا يقدر عليها إلا الله الخ» غير منطبق على الاستشفاع والتوسل بالأنبياء والأولياء عند قبورهم؛ لأن الاستشفاع ليس بعبادة ولا يفعلون أستغاثه تكون عبادة إلا عبادة الله بنحو الصوم والصلاة والمناجاة وطلب الحوائج الدنيوية والأخروية التي قد حققنا أنها جائزة؛ لكونها صحيحة مطلوبة في كل زمان وكل مكان إلا في المكان المغصوب، وبعض الأزمنة الخاصة؛ واعتقاد زيادة فضلها باعتبار وقوعها عند قبورهم ﷺ لا ضير فيه ولا قبح يعتريه.

وعلى هذا فاللزام على القائل عدم إنكار الاستشفاع بهم ﷺ عند قبورهم، لأن الاستشفاع ليس بعبادة، وكون الشفاعة لله الحق لا يدل على كون الاستشفاع استغاثه عبادياً بل إنها أمر يقدر عليه العبد المتقرب إلى الله وليست من الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله تعالى، وهذا تمام الكلام في عدم كون دعائهم ﷺ عند قبورهم دعوة لغير الحق، أو دعوة مع الله أحداً.

وأما من حيث كونهم أمواتاً لا يسمعون ولا يفهمون فلأن عدم سماعهم وفهمهم لكلام من يتوسل بهم ويطلب شفاعتهم غير ثابت، بل القرآن ناطق بخلافه في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ

خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ»^(١) الآية .
 ولا يتوهم أن النبي ﷺ غير مقتول، أمّا أولاً فلأنه قد صحّ
 عنهم عليه السلام أنهم قالوا: «ما منا إلا من هو مقتول أو مسموم»^(٢) .
 وثانياً فلأننا نقول بتعميم المقتول في سبيل الله؛ فإن الأنبياء
 وأوصياءهم عليهم السلام جاهدوا مع أنفسهم في سبيل الله؛ وهو الجهاد
 الأكبر الذي قال فيه رسول الله ﷺ لأصحابه حين رجعوا من
 غزوة ذات السلاسل: «رجعتم وقضيتم الجهاد الأصغر وبقي
 عليكم الجهاد الأكبر قالوا له ﷺ وما الجهاد الأكبر؟ قال ﷺ
 الجهاد مع النفس»^(٣) فهم بالمقاتلة مع النفس يحسبون مقتولين في
 سبيل الله وليسوا بأموات، بل هم: «أحياء عند ربهم يرزقون
 فرحين بما آتاهم الله من فضله»^(٤) كيف لا يكون كذلك والنفس
 روحانية البقاء، والنفوس القدسية باقية ببقاء الله، بل لا فناء لكل
 نفس وجدت وخلقت، ولولا ذلك لبطل الثواب والعقاب في عالم
 البرزخ وبعده، وإلى ذلك يشير قوله ﷺ: «خلقتم للبقاء لا للفناء»
 وهو الفرق بين الإنسان وغيره من الحيوانات والجمادات؛ فإنها

١- سورة آل عمران: الآيتان ١٦٩ - ١٧٠.

٢- البحار ٢٧: ٢١٦ / ١٨ و ١٩.

٣- البحار ٧٠: ٣٧٣ / ١٨.

٤- سورة آل عمران: الآية ١٧٠.

بموتها تفنى دون الإنسان، وأن كل مجرد عاقل شاعر غير غافل فكيف بالأولياء والمقرّبين فإنهم يسمعون الكلام، ويردّون الجواب، ويفهمون، الخطابات، ويعلمون الحوائج؛ لعدم غفلتهم عن حوائج المحتاجين، وكيف لا يكون كذلك وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(١) والخطاب عام ولا يختص بزمان الحياة ولا بغير قرب القبر المطهر.

والأخبار في إكثار الصلاة عليه ﷺ أكثر من أن تُحصى، ولا اختصاص لها بحال حياته، ومن الأخبار الدالة صريحاً على سماعه ﷺ للصلاة عليه بعد أرتحاله وموته ما رواه في دلائل الخيرات من أنه سئل رسول الله ﷺ: رأيت صلاة المصلين عليك ممّن غاب عنك ومن يأتي بعدك ما حالها عندك فقال ﷺ: «أسمع صلاة أهل محبتي، وأعرفهم، وتعرض عليّ صلاة غيرهم عرضاً» وأيضاً يدلّ على ذلك ما صحّ عن المعصومين عليه السلام في وظائف الدّاعي، حيث عدّ منها الصلاة على النبي ﷺ قبل طلب حاجاته من الله تعالى وبعده. ومعللاً بحصول الاستجابة للصلاة أولاً وآخرأ، فلا يردّ ما بينهما من طلب الحاجات؛ فيستجاب

١- سورة الأحزاب: الآية ٥٦.

باستجابتهما، وهذا بنفسه تكريم من الله تعالى للنبي ﷺ.

ويدل على ذلك عد الشفيع والمشفع وصاحب الشفاعة من أسماء النبي ﷺ وأوصافه، فكما أن جميع أسمائه وأوصافه وألقابه وكناه غير مختص بحال حياته، بل يعم بعد مماته أيضاً، وكذلك الشفيع وصاحب الشفاعة لا يختص بحال حياته أو في القيامة بعد حشره، كما أن الاستشفاع به ﷺ غير مختص بإيقاعه عند قبره الشريف، بل يعم المساجد والمعابد وأوقات الدعوات. وأيضاً استحباب السلام في التشهد بعبارته: «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته» دليل على سماعه للسلام وفهمه للمرام، فكيف لا يكون كذلك والسلام على أموات المؤمنين حال زيارة أهل القبور بالعبارات المختلفة، والكيفيات المتعددة، والطرق العديدة الواردة عن المعصومين عليه السلام، ومنها السلام بهذه الكيفية: «السلام على أهل لا إله إلا الله» إلى آخره ومنها: «السلام عليكم يا أهل الديار من المؤمنين والمسلمين» إلى آخره ومنها غير ذلك المكتوبة المدونة في محالها، ومن أرادها فليراجع مظانها - مما لا يقبل الإنكار، فكيف بمثله ﷺ.

والالتزام بكون زيارة أهل القبور والتسليات عليهم تعبداً صرفاً بدعوى عدم إدراكهم لذلك شطط من الكلام، وكدعوى ذلك في تلقينه الشهادتين حال دفنه، وعدم إدراكنا لكيفية علمهم،

وخصوصيات إدراكهم، والتفاتهم للتسليمات المتوجهة إليهم من الأحياء لا ينافي واقع إدراكهم وسماهم لكلام زائريهم تعبداً بقول من أمر بالسلام عليهم المطلع على أحوالهم، فإنه ﷺ قد أخبرنا في صحيح الخبر بالتفاتهم وإدراكهم، وهو أعلم بما قال وأخبر ﷺ.

فتلخص من جميع ما ذكرنا من الأدلة أن الأنبياء والأولياء يسمعون ويفهمون بعد أرتحالهم ومماتهم ودفنهم في القبور، كما يسمعون ويفهمون كلام من يخاطبهم حال حياتهم.

وأما زيارة قبورهم والتوسل بهم عند مراقدهم فلمزية النظر والتوجه لهم إلى قبورهم لأجل التوجه إلى زائري قبورهم واللائذين إلى مراقدهم والعائذين عند ضرائحهم.

ولو أغمضنا عن جميع ما ذكرنا واعترفنا (والعياذ بالله) بأنهم لا يسمعون الكلام، ولا يفهمون الخطاب، وفرضناهم (نستجير بالله) كالخشب المصنوعة صنماً لا يدرك شيئاً فحينئذ يكون التوسل بهم لغواً وعبثاً لا ينبغي أن يصدر من العقلاء والعلماء، وأين هذا من الشرك والكفر، وأن ذلك لا يعد شركاً ولا كفراً لا عرفاً ولا لغة.

فإن قال القائل: إنه صرح القرآن بكون ذلك شركاً بالنسبة إلى عبدة الأوثان، وهذا العمل مطابق لعمل المشركين في زمن النبي ﷺ حيث إنهم كانوا يستشفعون بالأصنام والأوثان الغير

المدركة لشيء وكانوا يقولون : ﴿هُؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾.

قلت : قد سبق الجواب عن هذا المقال مراراً بأن إطلاق المشرك الكافر عليهم لم يكن لمخاطبتهم تلك الأصنام بل إنما هو لأُمور أخر مر ذكرها من تسميتهم لها آلهة ، ومن عبادتهم لها عبادة الله الحق في الكيفية ، بل كانوا يسمّون ذلك عبادة لآلهتهم ، ومن حيث عدم كون تلك الأصنام صاحب الشفاعة من عند الله تعالى ذلك من جهات الفرق التي سبقت في كلماتنا مراراً فالقياس مع بطلانه من أصله قياس مع الفارق ، وليس بكاشف عن الحقائق .

ثم إن لنا سؤالاً إلزامياً من هذا القائل ، وهو أن من يريد أن يناجي ربه في مصلاه فيقول : اللهم إني أتوجه اليك بنبيك نبي الرحمة صلواتك عليه وآله ، وأقدمهم بين يدي حوائجي ، فأجعلني بهم عندك وجيهاً في الدنيا والآخرة ، وأفعل بي كذا وكذا هل يعدّ هذا الكلام شركاً وكفراً أو أنه جائز وليس بشرك ولا كفراً؟ فإن قال : هذا كفر وشرك فيقال له : كذبت ولئمت لا يرجع هذا الكلام إلى ما يكون كفراً وشركاً في اللغة ولا في المحاورات العرفية ، وإن أعترف بأن هذا الكلام ليس بشرك ولا كفر ، فنسأله إن فرضنا أنه نطق بهذا الكلام عند قبر النبي ﷺ أو أحد أوصيائه ، كيف يكون شركاً وكفراً؟ فإن قال : ذكره عند قبورهم أيضاً ليس بشرك ولا كفر وحينئذ نقول : فإن قال بدل ذلك : يا وجيهاً عند الله اشفع لي

عند الله أن يفعل بي كذا وكذا، هل يصير شركاً وكفراً؟ فإن أعترف بأنه أيضاً ليس بشرك ولا كفر ثبت مطلوبنا، وبطل ما أدعاه، وإن أنكر فنسأله عن دليل ذلك ونطالبه بالفرق بين هذه العبارة والعبارة الأولى التي معناها الاستشفاع أيضاً؛ إذ معنى التوجه إلى الله بالنبي ﷺ وتقديمه ﷺ بين يدي حوائجه جعله شافعياً عنده ولا يعقل أن يكون الفرق من جهة المكان إلا أن يقول: إن الفرق من حيث المخاطبة للميت ولا شك أن المتقدم للشفاعة قدر على الشفاعة، ويفهم كلام من استشفع به عند الله وإن كان ميتاً ظاهراً وإلا لم يكن يقدم لذلك أو يقول إنه دعوة لغير الحق، وقد أجبنا عن ذلك مراراً فلا نعيده، ومن لم يهده الله فلا نفيده.

ثم قال القائل: «ولهم شبهة أخرى؛ وهي قصة إبراهيم عليه السلام لما ألقى في النار أعترض له جبرئيل عليه السلام في الهواء فقال: ألك حاجة؟ فقال إبراهيم عليه السلام: «أما إليك فلا» قالوا: فلو كانت الاستغاثة بجبرئيل شركاً لم يعرضها على إبراهيم عليه السلام فالجواب أن هذا من جنس الشبهة الأولى؛ فإن جبرئيل عرض عليه أن ينفعه بأمر يقدر عليه، فإنه كما قال الله تعالى فيه: «شديد القوى»^(١) فلو أذن الله تعالى له أن يأخذ نار إبراهيم وما حولها

١ - سورة النجم: الآية ٥.

من الأرض والجبال ويلقيها في المشرق أو المغرب لفعل ، ولو أمره أن يرفعه إلى السماء لفعل ، وهذا كرجل غني له مال كثير يرى رجلاً محتاجاً فيعرض عليه أن يقرضه أو يهبه شيئاً يقضي به حاجته ، فيأبى ذلك الرجل المحتاج أن يأخذ ويصبر حتى يأتيه الله برزق لا منة فيه ، فأين هذا باستغاثه^(١) العبادة والشرك لو كانوا يفقهون» انتهى .

وخلاصة مرامه أن القدرة على الفعل الذي يريده الطالب من^(٢) المطلوب منه شرط في جواز الاستغاثه به ، وكان جبرئيل عليه السلام قادراً على جميع ما كان يحتاج إبراهيم عليه السلام ، وأما الأنبياء والأولياء المقبورون^(٣) فلا يقدرُونَ على شيء؟ فلا يجوز الطلب منهم .

والجواب عن هذا الكلام يعلم مما ذكرنا آنفاً من أن الاستغاثه بالعبادة لا معنى له ، فإنه ليس أحد ممن يستشفع بالأنبياء والأولياء عليهم السلام عابداً لهم عند دعوتهم ، والاستغاثه والاستشفاع بهم ، بل هذه العبارة غلط لا تفيد^(٤) أصلاً؛ لأن الاستغاثه شيء

١ - كذا ، والصحيح : من أستغاثه .

٢ - في الأصل : عن ، والصحيح ما أثبتناه .

٣ - في الأصل : المقبورين والصحيح ما أثبتناه .

٤ - في الأصل : يفيد ، والصحيح ما أثبتناه .

يُحصل بالفاظه خاصّة دون العبادة؛ فإنّها خضوع وخشوع مخصوص يحصل بأفعال مخصوصة لا باللفظ وإنّ تضمنت أيضاً ألفاظاً مخصوصة لكن لا ربط لها بالاستغاثة، ومن أنّ الأنبياء والأولياء بعد موتهم ﴿أحياء عند ربهم يرزقون﴾^(١) فيسمعون الكلام، ويفهمون، الخطاب ويردون الجواب، وعدم سماع جوابهم بالآذان الظاهرية لا ينافي علمنا بالجواب منهم، إمّا بإعطائهم ما نسأل الله بتوسطهم من الحاجات من رزق، أو ولد، أو شفاء مرض أو غير ذلك، أو بردهم إيانا بإسماع الكلام لنا في الخلسة أو في النعاس، أو في النوم، فيفهمونا عدم كون تلك الحاجة صلاحاً لنا، أو بعدم الاعتناء بنا فيما شفّعناهم عند الله، ونفهم ذلك، بل إنهم يفهمونا ذلك بقضاء بعض حوائج المحتاجين دون بعض، فنعلم أنّه لم يكن صلاحاً بالنسبة إلينا كما نشاهد ذلك في دعوة الله تعالى مع قوله تعالى: ﴿ادعوني أستجب لكم﴾^(٢) الآية من إجابة بعض الحوائج دون بعض، فنعلم صلاح ما أجبنا فيه من الدّعوات، وعدم المصلحة في بعضها الآخر الذي ما استجاب له^(٣)، وقد حققنا في بعض مصنفاتنا معنى قوله تعالى: ﴿واذا

١- سورة آل عمران: الآية ١٦٩.

٢- سورة غافر: الآية ٦٠.

٣- في الأصل: استجابها، والصحيح ما أثبتناه.

سألك عبادي عني فإني قريبٌ أجيبُ دعوة الداع^(١) الآية لا يناسب ذكره هنا.

الحاصل أن الاعتقاد بأنهم «أحياء عند ربهم يرزقون» يلزمه الاعتقاد بأنهم يسمعون الخطاب ويردون الجواب ولو أغمضنا عن ذلك وقلنا بعدم سماعهم الكلام، فلا محذور في دعوتهم إلا العبث واللغو لا الكفر والشرك، وقياس ذلك بعبادة الأصنام الغير المدركين لشيء قياس مع الفارق بيناه مراراً.

هذا كله مع أن الجواب المذكور لا يرد الشبهة المذكورة الراجعة إلى الاعتراض على إطلاق كلام القائل حيث إنه كان يجعل مطلق الاستغاثة بال مخلوق شركاً وكفراً والعدول عن الاطلاق إلى التقييد بال مخلوق الغير القادر، وإلى الاستغاثة بالعبادة التي ما حصلنا لها معنى محصلاً لا يرفع الاعتراض على إطلاق الكلام.

فتحصل من عدوله رفع اليد من إطلاق كلامه ولم يبق له إلا صورة التقييد وقد أوضحنا بطلانها وفساد برهانها، والحمد لله على ما هدانا وله الشكر على ما أولانا.

إيقاظ عرفاني وإلهام رباني

وهو أنه يفهم ويعلم من قصة إبراهيم عليه السلام صديقاً وذيقاً أمور

١ - سورة البقرة: الآية ١٨٦.

نوضحها بعد ذكر تمام القصّة؛ فإنّه ﷺ بعد سؤال جبرائيل ﷺ له^(١): «ألك حاجة قال: «أما لك فلا، وأما إلى الله فعلمه بحالي يكفي عن سؤالي»^(٢).

منها أنّ جبرئيل ﷺ أراد بيان أنّ الاستغاثة وطلب الحاجة من المقربين إلى الله تعالى جائزة، وليست من الدّعوة لغير الله تعالى في شيء.

ومنها أمتحان إبراهيم ﷺ في صبره على البلاء في مقام نصرة دين الله.

ومنها الاطلاع على ما عنده من العلم والمعرفة بالله تعالى، ومعرفة فضله على الأنبياء قبله.

ومنها إعلام الناس بمقامه ﷺ من الجواب الذي كان يجيبه.
ومنها ما أفاده ﷺ بجوابه: «أما إليك فلا» من دفع توهم جبرئيل ﷺ أنّه معرض للحاجة وأنه ﷺ مظهر له إيّاها على تقدير وجودها.

ومنها ما أفاده ﷺ أيضاً «وأما إلى الله» المحذوف جوابه يعني فنعم، من أن كلّ الحاجات إليه؛ لأنّه لا يقدر على قضائها غيره تعالى، ولا يملك الأمور سواه.

١- في الأصل عنه: والصحيح ما أثبتناه.

٢- البحار ٧١: ١٥٥ / ٧٠ وأمالى الصدوق ص ٤٥٦ وعلل الشرائع ص ٣٥.

ومنها ما أفاده عليه السلام أيضاً بقوله «علمه بحالي حسبي عن سؤالي» بعد كونه جواباً لسؤال مقدر من جبرئيل عليه السلام وهو أنه بعد قول إبراهيم عليه السلام: «أما إلى الله فنعم» كان في نيته وعزمه السؤال عن وجه عدم إظهارها لله تعالى، فقال عليه السلام قبل إظهاره ذلك ما قال من أن علمه بحالي حسبي عن سؤالي.

ومنها الإشارة بالجواب المذكور إلى أن العارفين بالله المخلصين له والمشتاقين إليه لا يسألون الله دفع شيء مما بهم من الآلام والأذى، لعلمهم بأن الله فعل بهم وفي حقهم ما يصلحهم ويحتاجون إليه من غير سؤال لفظي وإلحاح نطقي، وأنه تعالى يدفع عنهم ما يضرهم وما لا ينفعهم؛ لعدم الحاجة إليه، وإنما يسأل الله تعالى الحوائج المنظورة لهم والمستحسنة عندهم بعقولهم المشوبة بالأوهام أرباب العقول الناقصة، وقد تقدم أن معنى: «أدعوني أستجب لكم»^(١) وقوله تعالى: «أجيب دعوة الداع إذا دعان»^(٢) حققناه في بعض مصنفاتنا وتلك الإشارة كانت لأجل تنبيه جبرئيل عليه السلام إلى أن سؤاله عن وجه ترك طلب الحاجة من الله تعالى في سويداء قلبه لا وجه له، وفي غير محله، وكأنه قال: يا جبرئيل لا ينبغي لمثلي طلب شيء من الله تعالى لأنه يفعل بي

١- سورة غافر: الآية ٦٠.

٢- سورة البقرة: الآية ١٨٦.

وفي حَقِّي ما هو الأصلح لي من غير طلب وسؤال مني ، والله العالم بحقيقة معاني مقالته ، كما أنَّه تعالى هو العالم بحقيقة حاله ، ونسأل الله تعالى أن يصليَّ على محمد وآله وعليه صلوات الله عليهم أجمعين .

[خاتمة في معنى الإسلام]

ثم قال القائل : «ولنختم الكلام بمسألة عظيمة مهمة تفهم ممَّا تقدَّم ، لكن نفرد لها الكلام لعظم شأنها ولكثرة الغلط فيها فنقول : لا خلاف في أنَّ التَّوْحِيدَ لا بدَّ أن يكون بالقلب واللسان والعمل ، فإن اختلف شيء من هذا لم يكن الرجل مسلماً» انتهى محل الحاجة .

أقول وكأنَّ القائل بهذا الكلام لم يطَّلع على الخلاف العظيم بين العلماء في اعتبار الأمور الثلاثة في الإسلام أو الاعتقاد بالقلب والاقرار باللسان أو هو الاعتقاد بالقلب؟ حتَّى أنَّ بعضهم عبَّر عن اعتبار الأمور الثلاثة بقوله : هو الاعتقاد بالجنان والاقرار باللسان والعمل بالأركان ، وبعضهم - وهم الأكثر - قالوا بأنَّ العمل بالأركان للفرار عن الفسق لا لحصول الإسلام ، والاقرار باللسان كاشف عما هو حقيقة الإسلام الذي هو الاعتقاد بالجنان . والحق أنَّ الإسلام عبارة عن الاعتقاد بالجنان بشرط عدم المجحود باللسان ، فن أقرَّ باللسان وكان جاحداً بالجنان فهو

خارج عن الإسلام؛ لكون الجحود في الباطن مخرجاً له عن كونه من أهل التسليم الحقيقي، وإن كان نفي الإسلام عنه في الظاهر محرماً لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾^(١). والحاصل أن القول بعدم الخلاف في اعتبار الأمور الثلاثة في الإسلام كاشف عن عدم الاطلاع على الأمور أو التقصير في العثور، [و] كيف لا يكون كذلك وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٢) حيث نسب الهداية إليه بالقلب مؤكداً بكون الله عالماً بكل الخفيات التي منها ما هو ثابت في القلب.

هذا مضافاً إلى دلالة لفظ الإسلام المأخوذ من التسليم في ذلك؛ فإن التسليم يحدث أولاً في القلب، ثم يتبعه الجوارح، واللسان يتبعه بالإظهار وسائر الجوارح بالعمل، وهذا واضح عند المنصف لا عند المعاند المعتسف.

قل لمن يرشد أعلام الهدى أنت لا تعرف حقاً مسلماً
كيف ترجو أن تكون مهتدي^(٣) أنت كفرت بجهل مسلماً

١- سورة النساء: الآية ٩٤.

٢- سورة التغابن: الآية ١١ وفي الأصل: وهو بدلاً من: والله. والصحيح ما ذكرناه.

٣- كذا.

ثم قال: «فإن أخل بشيء من هذا لم يكن الرجل مسلماً، فإن عرف التوحيد ولم يعمل به فهو كافر معاند كفرعون وإبليس وأمثالهما. وهذا يغلط فيه كثير من الناس يقولون: هذا حق، تفهم هذا أنه الحق، ولكن لا نقدر أن نفعله ولا يجوز عند أهل بلدنا إلا من وافقهم، وغير ذلك من الأعذار ولم يدر المسلمين^(١) أن غالب أئمة الكفر يعرفون الحق ولم يتركوه إلا لشيء من الأعذار كما قال الله تعالى: ﴿اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً﴾^(٢) وغير ذلك من الآيات كقوله تعالى: ﴿يعرفونه كما يعرفون أبناءهم﴾^(٣) انتهى محل الحاجة.

أقول: قد تبين مما قدمنا أن الإسلام هو الاعتقاد القلبي الحقيقي بشرط عدم الجحود الظاهري؛ لأن الجحود يناقض التسليم، والتسليم بلا جحود ظاهري^(٤) لا يناقض فعل ما لا ينافي التسليم؛ فإن ترك الصلاة معتذراً بأنه صعب على فعله مع التسليم بوجوبه به، وكون تركها موجباً للفسق والمخالفة للشريعة غير مناف

١- كذا في الأصل، والصواب: المسلمون.

٢- سورة التوبة: الآية ٩.

٣- سورة ص: الآية ٧٦.

٤- في الأصل: الظاهري، والصواب ما أثبتناه.

للإسلام؛ إذ قبول وجوبه والالتزام بكون تركه موجباً للفسق ومخالفة للشرع بنفسه تسليم للحق، و مطلق العصيان لا يوجب الكفر، وإطلاقه على ترك بعض الواجبات الفرعية كالزكاة والحج مبالغة في لزوم الاهتمام به وإطلاق مجازي للفظ الكفر بقرينة مقالية أو مقامية، وكفر فرعون وإبليس مع الاعتقاد القلبي بالتوحيد لا المجحود الظاهري، أمّا جحود فرعون فظاهر، وأمّا جحود إبليس فلا إنكاره علم الحق بكونه خيراً من آدم، أو كون آدم خيراً منه حيث قال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾^(١) فأثبت صفة النقص لله تعالى وهو مناف للتوحيد، واعتقاد كلاً ينافي التوحيد جحود للحق. والحاصل أن كفر إبليس أيضاً ليس لأجل ترك السجدة، بل لأجل جحود الحق وإثبات الجهل لله تعالى، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ثم إن الاعتذار عن ترك العمل بالأعذار التي أشار إليها [أ] في كلماته، كيف يمكن أن يكون اعتذاراً مجوزاً لترك العمل إلا أن يريدوا من تلك المعاذير إثبات الإكراه والاضطرار إلى ترك العمل مع أن مطلق الترك ليس موجباً للكفر، بل ربما يكون مؤكداً

١ - سورة الاعراف: الآية ١٢.

للتوحيد، كما يدل عليه ما ورد في الدعاء: «إلهي لم أعصك»^(١) حين عصيتك وأنا بربوبيتك جاحد ولا بأمرك^(٢) مستخف، ولا^(٣) لوعيدك متهاون، لكن خطيئة^(٤) عرضت^(٥)، وسوّلت لي نفسي، وغلبني هواي^(٦)، وأعانني عليها^(٧) شقوتي، فقرّني سترك المرخي^(٨) عليّ^(٩) إلى غير ذلك مما ورد في هذا المعنى. إذا عرفت ما ذكرنا ظهر لك أنّ قياس من ترك العمل بالفروع معتذراً ببعض المعاذير الغير المنافية للإسلام بالمعاذير المعتذر بها أئمة الكفر قياس مع الفارق وتفرّيع غير لائق.

ثم إنّ استدلال هذا القائل على اعتذار أئمة الكفر بالمعاذير بقوله تعالى: «اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً»^(١٠) وإن كان قابلاً

١- في الأصل: لم أعصيك والصحيح ما ذكرناه.

٢- في الأصل: أمرك والصحيح ما ذكرناه.

٣- في الأصل: ولو لوعيدك، والصحيح ما أثبتناه.

٤- في الأصل: ولكن بليّة والصحيح ما ذكرناه.

٥- في الأصل: عرضت لي، والصحيح ما ذكرناه.

٦- ساقط من الأصل، والصحيح ما ذكرناه.

٧- في الأصل: وأعانني، والصحيح ما ذكرناه.

٨- في الأصل: فقرّني... الرخي، والصحيح ما ذكرناه.

٩- راجع دعاء أبو حمزة الشمالي في مفاتيح الجنان.

١٠- سورة البقرة: الآية ١٤٦.

للمناقشة، لكن لا يخلو عن مناصبة.

أما استدلاله واستشهاد به بقوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾^(١) فلم نفهم وجهه، بل لا يصح، فإن الآية في مقام بيان حال منكري^(٢) رسالة خاتم النبيين ﷺ بإنكار العلامات التي عيّن بها الأنبياء المبشرين بظهوره وقدومه.

فان قلت استشهاد به هذه الآية بملاحظة أنهم معذرون لعدم إيمانهم بعدم ثبوت العلام عندهم، فيعتذرون لعدم الإيمان بعدم أنطباق العلام فالاستشهاد في محله.

قلت: ظاهر كلام القائل أن التاركين للعمل على طبق الاعتقاد القلبي اللازم في حصول الإسلام يعتذرون باعتذارات كما يعتذرون أئمة الكفر باعتذارات، والمناسبات لذلك أن يكون أعتذارهم عن ترك العمل بالجوارح لا الاعتذار عن ترك الإيمان بنفس ما اعتقدوه حقاً لصدق العلام، وكيف كان [ف] هذه المقالات غير دالة على اعتبار العمل بالأركان في حقيقة الإسلام؛ بحيث لو فرضنا ترك العمل به يكون خروجاً عن الإسلام، وإن سلمنا أن ترك العمل كان موجباً للكفر؛ فارتباط هذا المطلب

١- سورة البقرة: الآية ١٤٦.

٢- في الأصل: منكرين، والصحيح ما أثبتناه.

يكون المستشفعين بالأنبياء والأولياء، وأحترام قبورهم مشركين وداعين^(١) لله لغيره ومشاركين في عبادة الله أحداً غير معلوم، بل المعلوم عدمه.

وكان القائل لهذا الكلام عدل عن تلك المسألة ويريد بهذه المقالات إثبات كفر المسلمين من حيث ترك الأعمال، وبعبارة أخرى: يريد بهذا البيان تكفير تمام المسلمين بالعصيان وترك الأعمال الرّاجعة عليهم، ولازم هذا الكلام يرجع إلى تزهيد تمام الوهابية وكونهم موحدين ومسلمين لعدم استشفاعهم بالأنبياء والأولياء، وكونهم عاملين بما أوجب الله على المسلمين من غير أن يصدر منهم ترك واجب أصلاً.

وأنت خير بأنّ ذلك إعجاب بالنفس، وتزهيد أكيد، وهو ممّا لم يجترئ عليه الأنبياء كما يدلّ عليه قوله تعالى - حكاية عن يوسف عليه السلام: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ^(٢) بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾^(٣) ولا يتكلم به إلّا المختال الفخور، ومن يكون مثل إبليس جسور، فيليق أن يقال في حقّه:

أيّها المغرور استغفر الله تعالى من قول الزّور:

١ - في الأصل: مشركون وداعون... ومشاركون، والصحيح ما أثبتناه.

٢ - في الأصل: أمّارة، والصحيح ما أثبتناه.

٣ - سورة يوسف: الآية ٥٣.

إلى مَ تحبّ السالكين سبيلاً
حميداً عزيزاً في الأنام ذليلاً^(١)
أقمت بتمويه دلائل باطله
ولا تحسبنّ ما في العقول دليلاً

[في وجوب الاعتقاد القلبي بالإسلام]

ثم قال القائل: «فإن عمل بالتوحيد عملاً ظاهراً وهو لا يفهمه ولا يعتقده بقلب فهو منافق، وهو شرّ من الكافر الخالص كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾»^(٢) وهذه المسألة مسألة طويلة يتبين لك إذا تأملتّها في السنة الناس ترى من يعرف الحقّ ويترك العمل لخوف نقص دنيا أو مداراة، وترى من يعمل به ظاهراً لا باطناً. انتهى محلّ الحاجة.

أقول حاصل مقاله أن من لم يعتقد الإسلام بقلبه، لكنه في الظاهر يعمل به فهو شرّ من الكافر، ومن أعتقد به في قلبه لكنه ترك العمل به لأمر دنيويّ أو لمداراة الناس وكأنه يريد بذلك انقسام الناس بين قسمين: كافر؛ وهو يعتقد ولا يعمل به لعذر أو مداراة أو نقص مال أو غيره، ومنافق؛ وهو الذي يعمل

١- كذا.

٢- سورة النساء: الآية ١٤٥.

ظاهراً لا باطناً، ويقصد إثبات كون الوهابية بين كافر ومنافق، ولكنك قد عرفت أن الحصر غير حاصر، والمعجب بالنفس قاصر ومكابر.

ثم قال القائل: «ولكن عليك بفهم آيتين في كتاب الله؛ وهما ما تقدّم من قوله: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾^(١) فإذا تحققت أن بعض الصحابة الذين غزوا الروم مع رسول الله ﷺ كفروا بسبب كلمة قالوها على وجه المزاح، تبين أن من يتكلم بالكفر ويعمل به خوفاً من نقص مال أو جاه أو مدارة أحد - أعظم ممن تكلم بكلمة بخروج بها» انتهى محل الحاجة.

وخلاصة مقاله: أن الاعتذار عن الكفر بعد الإيمان غير مفيد، ولا يصلح لرفع الكفر، والدليل عليه أن كلمة الخراج إذا أوجبت الكفر على ما عرفت سابقاً فكلمة الكفر بطريق أولى، وإذا تحقق أن الاعتذار لا ينفع في رفع الكفر، فتحقق كفر غير الوهابية الذين يقولون ما هو في الواقع كلمة الكفر واعتذارهم بما يعتذرون ليس رافعاً لكفرهم.

هذا خلاصة مقصوده، ونهاية ما كمن في وجوههم وضمرة طبع حسودهم^(٢).

١ - سورة التوبة: الآية ٦٦، وفي الأصل: فقد.

٢ - كذا.

وأنت بعد التأمل فيما ذكرنا سابقاً وأنفاً تعلم أن كل هذه المقالات وجولان الخيالات موجبات إغفال الجهاد، وتمويهات على ضعفاء العقول والأطفال، [و] كيف لا يكون كذلك مع أن حصول الكفر ببعض الكلمات المشعرة بإنكار ما يجب في الإسلام الاعتقاد من المسلمات، وكذلك المزعج المتضمن للاستهزاء بالله ورسوله من المكفرات، لكن الشأن في تطبيق ذلك على المستشفعين بالأنبياء والأولياء وقبورهم عند حلول ما يحوجهم إلى الالتجاء والمسألة عن الله في قضاء حوائجهم ورفعهم عنهم البليات، وذلك أصعب على من أدعاه من خطر القتاد، والصعود على السماوات، فينبغي أن يقال له:

يا سالك مسلك ذي الحقوق

دع عنك هذا المسلك المردود

تزعّم بأن هذه الخرافات

ترفعك المنازل المسعود

هيئات أن تنفعك الخرافات

سوى البعاد عن رضى المعبود

نعم أراك في جوى مضيق

تحرق بنار محرق... (١)

١- كذا الأبيات، والكلمة الأخيرة غير واضحة في الأصل.

ثم قال القائل : «والآية الثانية قوله تعالى : ﴿من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مَطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ اللَّهُ بِالْكَفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنْ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾»^(١) إلى قوله : ﴿الْكَافِرِينَ﴾ فلم يعذر الله من أولئك إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ، وأما غيره فقد كفر بعد إيمانه ؛ سواء فعله خوفاً ، أو مداراة ، أو محنة بوطنه أو أهله أو عشيرته أو ماله أو قوله على وجه المزاح أو غير ذلك من الأغراض إلا المكره . انتهى .

أقول : تنمة الآية التي لم يذكرها وذكر آخرها هي قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(٢) وخلاصة مرامه في هذه الجملة من كلامه : أن الإكراه على ترك الأعمال مع أطمينان القلب والبال بالإيمان غير مضر بالإيمان ، وما سوى ذلك مضر للإيمان ، ومدخل للانسان في الكفر بعد الايمان ، ونتيجة ذلك أن غير الوهابية كلهم غير مكرهين على ترك الأعمال ، ومستحبّي الحياة الدنيا على الآخرة ، فهم كفار أعدّ الله لهم ما أعدّه ، واستدلّ عليه بالآيتين .

توضيح ذلك أن الكلام من أول افتتاحه كان متعلقاً بكون

١ - سورة النحل : الآية ١٠٦ .

٢ - سورة النحل : الآية ١٠٧ .

الاستشفاع بالأنبياء والأولياء وقبورهم دعوة لغير الله، فيكون شركاً وكفراً، ومن المعلوم أن هذا الكلام لا ربط له بمسألة اعتبار العمل في الإسلام، والاستدلال بكون ترك الأعمال بغير الإكراه كفراً لا ربط له بتلك المسألة، والاستدلال لذلك بالآيتين أيضاً لا يفيد مطلوبه؛ لأن مجرد إطلاق الكفر على من ترك واجباً أو فعل محرماً ليس مفاده هو الشرك المنافي للتوحيد وتحقيق الإسلام، وإطلاق الكفر على الفسق ليس أمراً منكراً، واستحقاق العذاب كما يكون بالكفر يكون بالفسق والعصيان.

والحاصل: خلط مسألة كون الاستشفاع بالأنبياء والأولياء وقبورهم والالتجاء لهم - شركاً ودعوة لغير الله بترك الأعمال اللازم من فعله في الإسلام من الجهل أو التجاهل أو الإغفال للجهال...^(١) والتطاول، هذا مع أن الآية وإن دلت على أنحصار عدم الضرر بالإيمان بترك العمل بالإكراه، لكن يرفع الانحصار ما هو المشهور من قول النبي ﷺ «رفع عن أمتي تسعة: الخطأ، والنسيان، وما لا يعلمون، وما استكروها عليه، وما أضطروا إليه...»^(٢) وتفصيل هذه الأمور في محلّه، والمقصود هنا التنبيه على عدم الانحصار، والإشارة إلى بطلان ما يقول به القائل من الاقتصار.

١ - غير واضح في الأصل.

٢ - الخصال ص ٤١٧ و التوحيد ص ٣٥٣.

يا مَنْ أرى نصيبك المقدرا
ليس سوى بيانك المكررا
لا تزعمن ينفعك التكرار
من صحّة القول فكن مضفرا
بصحّة القول ورأى جيّد
تملك من حظ الأمور الأوفرا

ثم قال القائل : «والآية تدلّ على هذا من وجهين :
الأولى : قوله : ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَه﴾ فلم يستثن إلا المكره ، ومعلوم
أنّ الإنسان لا يكره إلا على الكلام والفعل ، وأمّا عقيدة القلب
فلا يكره عليها أحد .

الثانية : قوله : ﴿أُولَئِكَ بِأَنَّهُمْ أُسْتُحِبُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى
الْآخِرَةِ﴾ فصرّح بأنّ الكفر والعذاب لم يكن بسبب الاعتقاد
والجهل والبغض للدين ، ومحبة الكفر...^(١) أنّ له في ذلك حظاً
من حظوظ الدنيا فآثره ، والله تعالى أعلم ، وصلى الله على محمّد
وآله وسلّم .

أقول : خلاصة كلامه تقريب استدلاله على مطلبه بالآية
الثانية من حيث حصر الشيء الذي لا يضرّ بالإيمان الإكراه على

١ - غير واضح في الأصل .

فعل أو كلام يخالف أمر الدين ، فترك ما يجب على المسلم إن لم يكن بالإكراه موجب للكفر ، ومن حيث إن السبب في ذلك محبة الدنيا ، واختيارها وترجيحها على الآخرة .

وأنت إذا تأملت فيما ذكرنا آنفاً تعرف أن فيها تكرار الكلام السابق وإظهار لأمر ظاهر عند أولي الألباب والخواطر ، لكنه خلط للمبحث من حيث إن الكلام المنعقد له الاستدلال في أول الأمر كان في إثبات كون الاستشفاع بقبور الأنبياء والدعوة عندها كفراً وشركاً ، وهذه الكلمات لا مساس لها بذلك المطلوب ، فإن أجابه بأن ذلك الكلام كان لإثبات الكفر هؤلاء الجماعة من جهة الاستشفاع ، وهذا الكلام لإثبات الكفر لهم بترك العمل بغير الإكراه تقول في جوابه :

إن هذا الكلام يناقض تسمية هؤلاء الجماعة مشركي زمانهم ؛ فإن الكفر الذي يحصل بترك العمل لا يوجب الشرك الذي كان يوجب الاستشفاع ؛ لعدم كون ذلك دعوة لغير الحق ، وقد عرفت أن إطلاق الكفر على ترك ما يجب من الفروع مجاز ومتساهل ، مضافاً إلى أن إثبات الكفر والشرك للمستشفعين بالأنبياء والأولياء وقبورهم بالأدلة المثبتة لها عليهم مغن عن إثبات الكفر بترك الفروع بغير إكراه ، فلم يكن له حاجة إلى تطويل الكلام بأزيد ما ليس إليه حاجة في المقام ، والاستدلال بدليل أضعف مما

أقامه أولاً في العوام والاستحكام وهو خارج عن مسلك أهل
السداد حتى العوام.

ويل لمن جعل الإضلال إسلاماً

والأنهماك بقتل النفس إلزاماً

(١)

بل من يخالف كلامه الأعداء

الخاتمة

ولنختم الكلام ببيان نتيجة مقالات هذا^(٢) المضلّ الأضل
من الأنعام، فإن مراده من هذه التوجيهات والمفتريات والإغفال
والسفسطة في المقال لإضلال الجهال تحريضهم على طلب الدنيا
بعنوان الإسلام والديانة، وتشجيعهم على هتك المشاهد المشرفة
والمعظّمات بالنهب والغصب، والخيانة باسم
الإسلامية والديانة، وحياسة الثروة والرياسة، بل السلطة
الجائرة المستقلة بعنوان...^(٣) الإسلام والدين بالإعانة، وغير

١ - غير واضح في الأصل، والايات من أوّل الكتاب - كما ذكرنا - أكثرها غير متّسقة
الوزن، وقد أصلحنا ما يمكن إصلاحه منها ممّا هو مخالف لقواعد العربية وأشرنا إلى
أصله، وما لم يمكن إصلاحه فقد أبقيناه على حاله.

٢ - في الأصل: هذه، والصحيح ما أثبتناه.

٣ - غير واضح في الأصل.

خفي على قاطبة المسلمين باختلاف مشاربهم ومذاهبهم أن الإقدام على هذا الأمر الفضيع إهانة ومهانة وخروج عن الإسلام بإنكار الضروري لما هو من الإسلام والدين كالأسطوانة، وإفساد في الأرض، وإخلال بنظام فاعلية كافة البشر من تعظيم مشاهدتهم ومعظمتهم بالإهانة، فهم - بارتدادهم لإنكار ضروري الدين - كفار مهدورون^(١) الدّم ومهتوكو الاحترام، وبإفسادهم في الأرض واجبو القتل والإعدام، وهذا حكمهم في شرع الإسلام وحكم العقلاء بدفع^(٢) الفساد؛ لبقاء النظام، ودفع هذه الكريهة العظيمة المتضمنة للعواقب الوخيمة لازم على قاطبة الأنام وعلى من أتبع الهدى السلام، والحمد لله أولاً وآخراً.

وقد فرغت من تسويد هذه الأوراق في الثاني والعشرين من ذي الحجة سنة ١٣٤٣هـ.

١ - في الأصل: مهدور و مهتوك و واجب، والصحيح ما أثبتناه.

٢ - في الأصل: رفع والأنسب ما أثبتناه.

خاتمة التحقيق

نسأل الله تعالى أن يتقبل أعمالنا ويجعلها خالصة لوجهه الكريم
ويعين علينا بدولة كريمة يعزّ بها الإسلام وأهله، ويذلّ بها النفاق
وأهله، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على محمّد
 وآله الطيبين الطاهرين.

تم الفراغ من تصحيحه وتحقيقه يوم الخميس
٢٠/شعبان/١٤١٩هـ

نعمان النصري



مصادر التحقيق

- ١ - القرآن الكريم.
- ٢ - أغاني الأغاني، ط ٣، سنة ١٩٩٣.
- ٣ - الأماي للشيخ الصدوق.
- ٤ - بحار الأنوار للعلامة المجلسي.
- ٥ - التوحيد للشيخ الصدوق.
- ٦ - الخصال للشيخ الصدوق.
- ٧ - الدر المنثور للسيوطي.
- ٨ - سيرة ابن هشام.
- ٩ - الصراط المستقيم: كوتيز طبرسي.
- ١٠ - الكافي للشيخ الكليني.
- ١١ - علل الشرائع.
- ١٢ - كشف الغمة.
- ١٣ - كنز العمال للمتقي الهندي.
- ١٤ - مجمع البيان للشيخ الطبرسي، ط دار المعرفة، بيروت.
- ١٥ - مسند أحمد.
- ١٦ - مفاتيح الجنان للشيخ عباس القمي.

فهرست الآيات

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
اجعل لنا إلهاً كما...	الاعراف	١٣٨	٥٢، ٥٠ - ١٢٤، ٥٣
ادعوني استجب لكم	غافر	٦٠	١٥٥
ارأيت الذي ينهى عبداً...	العلق	٩ - ١٠	١٤١
اشتروا بآيات الله ثمناً...	التوبة	٩	١٦١ - ١٦٣
الذين آمنوا والذين هادوا...	البقرة	٦٢	٦٣
الذين ينفقون أموالهم بالليل...	البقرة	٢٧٤	٦٤
الذين ينفقون أموالهم في...	البقرة	٢٦٢	٦٣ - ٦٤
الراكون الساجدون...	التوبة	١١٢	٢٦

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
المساجد لله فلا تدعوا مع...	الجن	١٨	٨٥
إن الذين يكفرون بالله...	النساء	١٥٠ - ١٥١	١١١
إن الله لا يغفر أن يشرك به...	النساء	١١٦	٥٠
إن الله وملائكته يصلون على النبي...	الاحزاب	٥٦	٨٦، ٨٢ - ١٤٩، ٨٧
إن المنافقين في الدرك...	النساء	١٤٥	١٦٦
إنكم قوم تجهلون إن...	الأعراف	١٣٨ - ١٣٩	١٢٥ - ١٢٦
إنكم وما تعبدون من دون...	الانبياء	٩٨	١٠٠ - ١٠١
إن كيد الشيطان كان ضعيفاً	النساء	٧٦	٥٤
إنما جزاء الذين يحاربون الله...	المائدة	٣٣	١١٧
إننا لفي شك مما تدعونا...	هود	٦٢	٤٨
أإله مع الله تعالى الله...	النمل	٦٣	٦٠

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
أبأله وآياته ورسوله...	التوبة	٧٤	١٢٢
أتنهانا أن نعبد ما...	هود	٦٢	٩٢
أحياء عند ربهم يرزقون	آل عمران	١٦٩	١٥٥
أشدّ كفراً	التوبة	٩٧	١٠٥
أغير الله أبغىكم رباً...	الأعراف	١٤٠	١٢٦
أفـتؤمنون ببعض الكتاب...	البقرة	٨٥	١١٣
ألا إن أولياء الله لا خوف...	يونس	٦٢	٥٧، ٦٢، ١٠٠
ألم تر أن الفلك تجري...	لقمان	٣٢-٣١	١٠٨
أم اتخذوا من دون الله...	الزمر	٤٤-٤٣	٨٣
أنا خير منه خلقتني...	الأعراف	١٢	١٦٢
أنفسنا	آل عمران	٦١	٤٥
أولئك الذين يدعون يبتغون...	الإسراء	٥٧	٦٨
أمشوا واصبروا على آلهتكم	ص	٧-٦	٤٣
بسم الله الرحمن الرحيم	الفاتحة وأول كل سورة	١	٢٣

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
بلى من أسلم وجهه...	البقرة	١١٢	٦٣
تبياناً لكل شيء وهدى...	النحل	٨٩	٥٥
توفني مسلماً وألحقني بالصالحين...	آل عمران	١٧	٥٢
ثم كانت عاقبة الذين...	الروم	١٠	٦٦-٦٧
ذلك بأنهم استحبوا الحياة...	النحل	١٠٧	١٦٩، ١٧١
ربّ اشرح لي صدري...	طه	٢٥-٢٨	٢١
شديد القوى	النجم	٥	١٥٣
فاستغاثه الذي من شيعته...	القصص	١٥	١٣٧
فالحكم لله العلي	غافر	١٢	١٣٥
فأذن لمن شئت منهم...	النور	٦٢	٣٣
فتلقّ آدم من ربّه...	البقرة	٣٧	٨٦
فتلقّ آدم من ربّه...	البقرة	٣٧	١٤٦
فصلّ لربّك وانحر	الكوثر	٢	٧٦، ٧٥
فلا تدعوا مع الله أحداً	الجن	١٨	٣٥
فلا تدعوا مع الله أحداً	الجنّ	١٨	١٣٦

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
فلما جاءتهم رسلهم بالبينات...	غافر	٨٣	٥٤
فمن تبع هداي فلا...	البقرة	٣٨	٦٣
في بيوت أذن الله أن ترفع...	النور	٣٦-٣٧	١٤٢، ٤٥
قل ادعوا الذين زعمتم...	الاسراء	٥٦	٧١
قل أتنبئون الله بما لا يعلم في...	يونس	١٨	٤٠
قل أرأيتم إن أتاكم عذاب...	الانعام	٤٠	١٠٣
قل بفضل الله ورحمته فبذلك...	يونس	٥٨	٥٠
قل لله الشفاعة جميعاً	الزمر	٤٤	٨٠، ٣٣، ٨٣
قل لمن الأرض ومن...	المؤمنون	٨٤-٨٥	٢٥، ٢٤
قل من بيده ملكوت...	المؤمنون	٨٨-٨٩	٢٥-٢٤
قل من يرزقكم من السماء والأرض...	يونس	٣١	٢٤
قل هو الله أحد...	الاخلاص	١-٢	٩٧
كذلك يطبع الله على قلوب...	الروم	٥٩	١١٦

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
كل حزب بما لديهم فرحون...	المؤمنون والروم	٥٣، ٣٢	٥٢
لا تسجدوا للشمس ولا للقمر	فصلت	٣٧	٥٩
لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم...	التوبة	٦٦	١٦٧
لا تنفع الشفاعة عنده إلا...	سبا	٢٣	٦٦
لأقعدن لهم صراطك المستقيم	الأعراف	١٦	٥٤
لا يقدر على شيء وهو...	النحل	٧٦	١٤٥
لا يملكون شيئاً	الزمر	٤٣	٩٢
لم يلد ولم يولد له دعوة الحق والذين...	الخلاص	٣	٩٧
له من في السموات والأرض...	الروم	٢٦	٢٦
ليس كمثله شيء	الشورى	١١	٥٩
ليعبدوا الله مخلصين...	البينة	٥	٥٩
ما اتخذ الله من ولد...	المؤمنون	٩١	٩٧

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
ما المسيح بن مريم وأُمّه إلّا...	المائدة	٧٥	٦٨
ما نعبدهم إلّا ليقربونا...	الزمر	٣	٧٣، ٦٩، ٨٨، ٩١، ٩٨، ٩٢
محمد رسول الله	الفتح	٢٩	١١٧
من ذا الذي يشفع عنده...	البقرة	٢٥٥	٦٥، ٣٩، ٨٠
من كفر بالله من بعد إيمانه...	النحل	١٠٦	١٦٩، ١٧١
هو الذي أنزل عليك الكتاب...	آل عمران	٧	٦٠، ٥٧
هؤلاء شفعاؤنا عند الله...	يونس	١٨	٥٢، ٣٥، ٦٠، ٥٨، ٧٣، ٦٩، ٩٨، ٨٨، ١٥٢
وابتغوا إليه الوسيلة	المائدة	٣٥	٣٤

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
وإذا سألك عبادي عني...	البقرة	١٨٦	١٥٨، ١٥٦
وإذا غشيهم موج كالظلل...	لقمان	٣٢	١٠٣، ١٠٨
وإذا مسّ الانسان ضرًّا...	الزمر	٨	١٠٣، ١٠٧
وإذا مسّكم الضرّ في البحر...	الاسراء	٦٧	١٠٣، ١٠٥
واستغفر لذنبك وللمؤمنين...	محمد ﷺ	١٩	٣٤ - ٣٣
والذين آمنوا واتبعتهم...	الطور	٢١	٣٤
والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم	النور	٤٦	١١٨
وإن جندنا لهم الغالبون	الصافات	١٧٣	٥٤
وإن من شيء إلا يسبح...	الاسراء	٤٤	٢٦ - ٢٥
وتنسون ما تشركون	الانعام	٤١	١٠٦
وجحدوا بها واستيقنتها...	النمل	١٤	٥٦
وجعلوا لله شركاء الجنّ	الانعام	١٠٠	٩٧
وخاتم النبيين	الاحزاب	٤٠	١١٧

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون...	الشعراء	٢٢٧	٥٠
وقالوا أجعل الآلهة إلهاً واحداً...	ص	٥	٤٣، ٤٨، ٤٩، ٩٥، ١١٢
وكذلك جعلنا لكل نبيّ عدواً...	الانعام	١١٢	٥٣-٥٤
ولا تحسبن الذين قُتلوا...	آل عمران	١٦٩ - ١٧٠	١٠٢، ١٤٧-١٤٨
ولا تقولوا لمن ألقى إليكم...	النساء	٩٤	١٦٠
ولا يأتونك بمثل إلّا...	الفرقان	٣٣	٥٥
ولا يشفعون إلّا لمن ارتضى	الأنبياء	٢٨	٣٩، ٦٦، ٨١، ٨٤
ولله الأسماء الحسنى فادعوه...	الأعراف	١٨٠	١٤٦
ولله على الناس حجّ البيت...	آل عمران	٩٧	١١١
ولله يسجد من في السموات...	الرعد	١٣	٢٦

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
وما أبرئ نفسي إن النفس...	يوسف	٥٣	١٦٥
وما يلقاها إلا الذين صبروا...	فصلت	٣٥	٥٨
ومن يتبع غير الإسلام...	آل عمران	٨٥	٨١
ومن يطع الله والرسول...	النساء	٦٩	١١٣
ومن يؤمن بالله يهد قلبه...	التغابن	١١	١٦٠
وهو يجير ولا يجار عليه...	المؤمنون	٨٨	٤٨
ويعبدون من دون الله...	يونس	١٨	٧٤، ٣٨
ويوم نحشرهم جميعاً ثم...	الانعام	٢٢	٦٨
يا أيها الذين آمنوا إن الحجرات...	الحجرات	٦	١٢٩
يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في...	النساء	٩٤	١٢٨
يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله...	الأحزاب	٤١-٤٢	١٤١
يا صالح قد كنت فينا مرجواً...	هود	٦٢	٤٣

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
يا قوم اعبدوا الله ما لكم... يعرفونه كما يعرفون أبناءهم...	هود ص	٦١ ٧٦	٤٣ ١٦١ - ١٦٤
يقولون كل من عند ربنا	آل عمران	٧	٦١



فهرست الروايات

إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه... ..	٥٧
أنه ﷺ سأل لما قرأ... ..	٤٥
إني تارك فيكم الثقلين... ..	٦٦
أسمع صلاة أهل محبتي... ..	١٤٩
أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله... ..	١٣٤، ١٣٣، ١٢٩، ١٢٧
أما إليك فلا... ..	١٥٨، ١٥٣
أمرت أن أقاتل الناس حتى... ..	١٣٥، ١٣٠، ١٢٩، ١٢٧
أيما لقيتموهم فاقتلوهم... ..	١٢٩
بين قبري ومنبري روضة... ..	١٤٥
حلال محمد حلال إلى يوم... ..	١١٧
خلقتم للبقاء لا للفناء... ..	١٤٨
رجعتم وقضيتم الجهاد... ..	١٤٨

١٧٠	رفع عن أمتي تسعة...
٤٩	قولوا لا إله إلا الله...
١١٧	لا نبيّ بعدي
١٤٨	ما منّا إلا من هو مقتول أو مسموم
٩٦	من فسّر القرآن برأيه...
١٣٣	هل شققت قلبه...
١٢٤	يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط...



فهرست الزيارات والأدعية

السلام على أهل لا إله إلا الله	١٥٠
السلام عليك أيها النبي	١٥٠
السلام عليكم يا أهل الديار من	١٥٠
اللهم اني أتقرب إليك بذكرك	٨٢، ٤٣
اللهم بمحمد ﷺ وأنت المحمود	٨٦
إلهي لم أعصك حين عصيتك وأنا	١٦٣
إلهي ما عبدتك خوفاً من نارك	٢٦
وتقبل شفاعته وارفع درجته	٨٢
يا أهل بيت النبوة	٦٥
يا وحيها عند الله اشفع لنا	٨٢